مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد الحادي عشر/السنة الرابعة
شهر محرم الحرام ١٤٤٢هـ - ايلول ٢٠٢٠م

اوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

متابعة وتنفيذ

السيد عقيل الياسري

هيأة التحرير

بدر العلي

مهند السهلاني

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود - عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

١٠ معاني القرآن على أربعة أقسام
شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي

١٣ امتياز القرآن عن غيره من المعجزات
الشيخ محمد جواد البلاغي

١٧ يوسف واخوته.. المصلحة فوق القرابة
الشيخ محمد جواد مغنية

١٨ مصائبكم بما كسبت أيديكم
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٢٢ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٢٨ إقامة الدليل على الأمر بين الأمرين بالعقل والنقل
الشيخ شريعتمدار

٣٠ الهدى والضلال
محمد حسن آل ياسين

٣٣ لماذا احياء عاشوراء بالبكاء واللطم والسواد؟
الشيخ مصباح اليزدي

٣٨ علما الفقه والأصول مترابطان بترابط متبادل على طول التاريخ
آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض

٤١ علاقة علم الرجال بالعلوم الشرعية
الشيخ عبد الهادي الفضلي

٤٤ وسائل الشيعة
السيد جواد الشهرستاني

٤٨ ساعة الوداع لسيد الشهداء عليه السلام
محمد حسين كاشف الغطاء

٥١ ملحمة الطف
السيد محمد باقر السيستاني

٥٤ مواجهة الظالم
السيد زهير الاعرجي

٥٨ عاشوراء مِرآة للتاريخ
الشيخ محمد مهدي الآصفي.

٥٦ نهضة الحسين عليه السلام كانت طاعة لله..
آية الله العظمى الصافي الكلبايكاني

٦٦ طريق التقدم
محمد تقي فلسفي

٦٩ فضل المجتمع الإسلامي
مهدي الصدر

٦٦ نظرة الإسلام للمرأة وسموّها العقلي
الشيخ حسن الجواهري

٧٦ من أعماق التاريخ
السيد محمد جمال الهاشمي

الورقة الأولى ...

فصداها مالئُ الآفاق يدوي.. ستبقى ما دام للحق باقية، وما دام نور الشمس ساطعاً ينير، فمُثار نقعها يحنو فوق الرؤوس منثور.. ومآثر المجد بقلب الأسى محفور.. فكيف تمحى آثار والقرآن بأحرفه خطها؟ وكيف تدرَس مسيرة بهاء زمزم قد كان رواها؟! وكيف تنتهي نهضة وآل الطهر مسراها؟!

وعاشوراء تخطت حدود الزمن، وكربلاء صارت العالم بأكمله، مسيرة أضحت جراحها ضماداً لجرحنا.. ودمعها المسكوب مطفأً لنار جرمنا، ودمها النازف غدا للحياة مداداً.

وزيارة الأربعين مدرسة..

فزيارة الأربعين أمست مدرسة بكل ما تحمله الكلمة من معنى! فمن باشر الأربعين وشارك فيها يدرك ما نقوله.

حيث يُرى المحبون لأهل البيت عليهم السلام قاصدين تجديد العهد في يوم الأربعين، يتذكّرونه ويُذكّرون به.. طالبين احياء ذكرى الاربعين في كربلاء، بعدما سمعوا ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء**»[1].

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٨١.

أوراق قرآنية

معاني القرآن على أربعة أقسام

شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي

واعلم أن الرواية ظاهرة في اخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله، وان القول فيه بالرأي لا يجوز.

وروى العامة ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق، وفقد أخطأ**» وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي: كسعيد ابن المسيب وعبيدة السلماني، ونافع، ومحمد بن القاسم، وسالم بن عبد الله، وغيرهم وروي عن عائشة أنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يفسر القرآن إلا بعد أن يأتي به جبرائيل عليه السلام.

والذي نقول في ذلك: إنه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الزخرف: ٣] وقال: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ [إبراهيم: ٤] وقال: ﴿**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ وقال: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨] فكيف يجوز ان يصفه بأنه عربي مبين، وانه بلسان قومه، وانه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟ وهل ذلك إلا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به إلا بعد تفسيره وبيانه؟ وذلك منزه عن القرآن وقد مدح الله أقواما على استخراج معاني القرآن فقال: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾، وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن، ولم يتفكروا في معانيه: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤] وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**اني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**» فبين ان الكتاب حجة، كما أن العترة حجة، وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء؟ وروى عنه عليه السلام أنه قال: «**إذا جاءكم عني حديث، فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط**» وروي مثل ذلك عن أئمتنا عليهم السلام، وكيف يمكن العرض على كتاب الله، وهو لا يفهم به شيء؟ وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الأخبار متروك.

والذي نقول به: إن معاني القرآن على أربعة أقسام:

أحدها: ما اختص الله تعالى بالعلم به، فلا يجوز لاحد تكلف القول فيه، ولا تعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأعراف: ١٨٧] ومثل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخرها فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ.

وثانيها: ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها، عرف معناها، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ومثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وغير ذلك.

وثالثها: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾ [آل عمران: ٩٧] وقوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤] وما أشبه ذلك.

فإن تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبيﷺ ووحي من جهة الله تعالى، فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الاخبار متناولة إياه.

ورابعها: ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنهما، ويمكن أن يكون كل واحد منهما مراداً، فإنه لا ينبغي أن يقدم أحد به فيقول: ان مراد الله فيه بعض ما يحتمل - إلا بقول نبي أو امام معصوم - بل ينبغي ان يقول: ان الظاهر يحتمل أموراً، وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل، والله أعلم بما أراد ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين، أو ما زاد عليهما، ودل الدليل على أنه لا يجوز أن يريد إلا وجهاً واحداً، جاز ان يقال: إنه هو المراد، ومتى قسمنا هذه الاقسام، نكون قبلنا هذه الأخبار، ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة ولا ينبغي لاحد ان ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً، أو يقلد أحداً من المفسرين، إلا أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الاجماع.. ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة، شائعاً بينهم.

وأما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، والألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعل شاهدا على كتاب الله وينبغي أن يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله، ولا يقطع على المراد منه بعينه، فإنه متى قطع بالمراد كان مخطئاً، وان أصاب الحق، كما روي عن النبيﷺ لأنه قال تخميناً وحدساً ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق.

[التبيان في تفسير القرآن]

امتياز القرآن عن غيره من المعجزات

الشيخ محمد جواد البلاغي

القرآن يمتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكبر الأمور الجوهرية في شؤون النبوة والرسالة ودعوتها (فمن ذلك) انه باق مدى السنين ممثل بصورته ومادته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته، فهو باد في كل آن ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها، ماثل لكل من يريد النظر في الحقائق ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه اعجازه الى أساطير النقل وممارة قال او قيل، فلا يحتمل أمره إنه دبرت دعواه بليل. ولا يستراب من أمره باحتمال التمويه بل ينادي هو بنفسه في كل زمان ومكان (هذا جناي وخياره فيه) وكله خيار فائق متفوق (و من ذلك) انه بنفسه ولسانه وصريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة وشهادة اعجازه لها، ولم يوكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الريب وتعرض فيه الشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج وتكثر صعوباته: فالتفت واعرف ذلك من أمور:

(الأول) انه تكفل ببيان دعوى النبي للنبوّة والرّسالة كما في سائر النبوّات.

(الثاني) انه تكفل في صراحة بيانه بالشهادة للنبوّة والرّسالة فلم تبق حاجة لدلالة العقل ودفع الشبهات عنها.

(الثالث) انه تكفل في صراحته المتكررة ببيانه لكمالات مدّعي رسالته وأطرى بصلاحه وأخلاقه الفائقة كما هو معروف، فمهد المقدمات اللازمة في البيان وصورة الاحتجاج بأنه لو كان كاذبا لكان ظهور المعجزة له من الإغراء بالجهل القبيح الممتنع لقبحه على جلال الله وقدسه تعالى شأنه، وإليك فاسمع بعض ما جاء في القرآن في بيان هذه الأمور الثلاثة، ففي سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وسورة النجم المكية من الآية الثانية الى الخامسة ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى۞ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢ - ٤] وفي سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وفي سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي أوائل سورة القلم المكية ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٢ - ٤] الى قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧] وقوله تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] وفي سورة الأعراف: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وفي سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

(الأمر الرابع) انه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة والنبوّة إذ بين مواد الدّعوة وأساسياتها ومعارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانيها وأخلاقيها واجتماعيها وسياسيها فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعاً عن النبوّة وفي سورة الاسراء المكية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ودونك القرآن الكريم وحقق وتبصر وتنوّر فيما تضمنه من هذه المواد الشريفة ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

(الأمر الخامس) انه زاد على كونه معجزاً بنفسه بأن كرّر النداء والمصارحة في الاحتجاج بإعجازه وتحدّي الناس وأعلن بالحجة وهتف بهم هتافاً مكرراً مؤكداً بأن يعارضوه لو لم يكن

معجزاً ويأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله، ان كان مما تناله قدرة البشر المحدودة وقد نادى بقرار الإنصاف والمماشاة وجعل لهم إن أتوا بعشر سور او سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوة ويستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم ويدعوا من يستطيعون عقلاً ان يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من المعقول سبيلاً، جعل لهم ذلك من باب المماشاة والمجاراة في الحجة تعليقاً على المستحيل ولهم في ذلك المهلة والأناة ليعدّوا عدّتهم في المظاهرة والتعاون ففي سورة هود المكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ﴾ [هود: ١٣، ١٤] وفي سورة يونس المكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]

وفي سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] فيما تدعونهم وتصفونهم به ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وفي سورة الاسراء المكية: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

هذا وقد مضت لهم عدة أعوام ودعوة الرسالة والإعذار والإنذار والاحتجاج بإعجاز القرآن دائمة عليهم وهم في أشد الضجر من ذلك والكراهية له والخوف من عاقبته، وفي أشد التألم من آثار الدعوة وتقدّمها وظهورها، وفي أشد الرغبة في أهوائهم وعاداتهم الوحشية ورئاساتهم والعكوف على معبوداتهم ومع ذلك لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئا من القرآن الكريم ولو بأن يأتوا بسورة من مثله لكي تظهر حجتهم وتسقط عنهم حجة الرسول ويستريحوا من عناهم وقلقهم وآلامهم من دعوته التي شتتت جامعتهم الأوثانية وهدّدت رئاساتهم الوحشية وتشريعاتهم الأهوائية وفرّقت بين الأب منهم وبنيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه والقريب وقريبه وكدّرت صفاءهم ونافرت بين عواطفهم، وقد سامعهم في دعوته إصلاحاً وخضوعاً لم يكونوا يحتسبونه ولم يجدوا لذلك حيلة إلا الجحود السخيف والعناد الشديد وقساوة الاضطهاد والاستشفاع بأبي طالب في ترك الرسول دعوته أو تمرّدهم بالمثابرة الوحشية

فاقتحموا فيها الأهـوال وتجشموا المصاعب وقتال الأقـارب والاخـوان ومقاساة الشدائد وذلة المغلوبية. فلماذا لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات او اكثر ويأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم ولو سورة واحدة ويفاخروا الرسول صلى الله عليه وآله ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدّوها لمثل ذلك فتكون لهم الحجة والانتصار في الحكومة وقرار النصفة وينادوا بالغلبة ويستريحوا من عناء هذه الدعوة وتهديدها ضلالهم. فلماذا لم يفعلوا ذلك والقرآن والرسول قد دعواهم إلى ذلك تعجيزاً هم وينابيع فصاحتهم وبلاغتهم غزيرة، وغرائزهم في الأدب العربي متدفقة، وقرائحهم سيالة ومـواد القرآن في مفرداته وتراكيبه من لغتهم، وأسلوبه من نحو صناعتهم التي لهم فيها الممارسة التامة والمهارة الفائقة والرّقي المعروف ولله الحجة البالغة.

ولـو كـان هناك أقـلّ قليل من المعارضة والإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن لرفعه الضلال نـاراً على علم واحتفلت فيه ألوف الألوف من أضداد الإسلام والقرآن، ولسجلته دواوينهم في أقطار الأرض وأجيال الأمـم، وتلقوه بأحسن ابتهاج، وصالوا به أكبر صولة؛ لأنه الفيصل السلمي والحجة الأدبية التي ما فوقها حجة لهم في الجدل والبرهان، ولكن هل سمعت أن أحـدا نبس في ذلك ببنت شفة أو أجري فيه قلم؟ وإن أمر ذلك بمعزل عن داخلية الإسلام لكي يقال انه أخفته شوكة المسلمين او دسائس تواطيهم، بل إن بذرته ومغرسه وسوره وحفظه وحياطته ترجع إلى ألوف الألوف في كل جيل من أنصاره أضداد الإسلام والقرآن سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها أو بعد زمان الرسول صلى الله عليه وآله.

ألا ترى انه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه في جزيرة العرب بقي في اليمن وسوريا والعراق كثير من اليهود والنصارى وأمثالهم وهم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغة العربية ويتكلم بها ويتأدب بآدابها، وأضف إلى ذلك المنافقين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهد وسعهم في عصر الرسول وبعده، فهل يخفي هؤلاء ما هو ضالّتهم المنشودة، وسلاح سطوتهم، وعدّة صولتهم وأقطع حجة لهم واكبر مدافع عن أديانهم، فإنه لا عطر بعد عرس ولكن ماذا يصنعون بالعدم، وعدم القدرة من المتأخر على الاختلاق؟. هذا في وجهة الاعجاز الذي تقوم به الحجة على العرب، وان للقرآن المجيد ايضا وجوهاً من الإعجاز مما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشد إذا اطلع عليها.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

يوسف عليه السلام وإخوته.. المَصلَحَة فَوق القرابة

الشيخ محمد جواد مغنية

إن قرابة ليست بشيء يحرك إنساناً إذا لم تحقق له شيئا من اللذة، أو تبتعد به عن الألم، فحب الإنسان لقريب من أرحامه يقاس بهذه المصلحة، وعلى نسبتها يضعف الحب أو يقوى، وأوضح مثال على ذلك ان حزن القريب وأسفه على فقيد من أقاربه يأتي على مقدار نفعه منه في حياته - غالبا - ويصبح القريب من ألد الأعداء إذا تسبب في آلام قريبه، أو أفسد عليه لذته وراحته، فكم من ولد استعجل ميراثه من أبيه فأودى بحياته؟ وقتل قابيل هابيل، وهما أول أخوين انبثقا من نطفة واحدة، وتكوّنا في رحم واحدة، وألقى أولاد إسرائيل يوسف في غيابة الجب، ولم تأخذهم به رأفة على رغم القربى وصلة الدم.

ولذا قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «**القرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة**» حتى المودة والصداقة مصدرها اللذة الروحية، ولكن كثيراً ما يذهل الإنسان عن نفسه، ويسهو عن واقعه، فيشرح بمنطق القرابة ما يفعله بوحي من مصلحته.

وليس من الضروري أن تكون هذه المصلحة التي تحرك الإنسان شخصيته، فإن المخلص الواعي يؤمن قولاً وعملاً بأن مصلحته فرع عن مصلحة الجماعة، فيتألم لألمها، ويفرح لفرحها، ويرى الخير، كل الخير، في احقاق الحق وإقامة العدل، أما غير المخلص فلا يرى هماً غير همه،

ولا حياة غير حياته، تماما كما فعل أبناء إسرائيل بيوسف، ليتمتعوا وحدهم بعطف أبيهم، ولكن الله سبحانه عاقبهم بالحرمان، وباؤوا بغضب على غضب من الله ونبيه يعقوب، وظفر يوسف بالعز والكرامة، ووقفوا بين يديه أذلاء يعترفون بالذنب، ويطلبون العفو والصفح بقولهم: ﴿تالله لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]. ألقى أبناء إسرائيل يوسف في الجب، لا لشيء إلا لأن أباه فضله عليهم بالعطف والحنان، وحاربت قريش محمدا، وبالغت في إيذائه، وهو قرشي مثلهم، لأن الله فضله عليهم، وعلى الناس أجمعين، ونصر الله يوسف على إخوته، وكذلك نصر محمداﷺ على عشيرته، وفي ذلك عبر وعظات لمن أراد معرفة الحقائق، ويعتبر بها.

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، معنى هذه الآية وما بعدها ظاهر، ومع هذا نعقب على كل آية بما يناسبها، لما رأى أبناء إسرائيل ميل أبيهم إلى يوسف وأخيه غلى الحقد والحسد في قلوبهم، وقال بعضهم لبعض: ما الذي حمل هذا الشيخ على أن يؤثر هذين الصبيين علينا، ونحن أكبر سناً، وأشد قوة، وأكثر نفعا وخدمة؟ إن هذا هو الحيف والضلال، وكان يوسف وأخوه بنيامين من أم ثانية اسمها راحيل، وكثيراً ما يكون تعدد الأمهات سببا للحقد والحسد بين بني العلَّات.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٩]. تآمروا على قتله، لا لشيء باعترافهم إلا ليحتكروا عطف أبيهم من دونه، وهذا هو منطق الاحتكار والمحتكر، اقتل وشرد حتى الأقارب والأرحام حرصاً على الأرباح والمكاسب.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩] قال كثير من المفسرين: ان المراد بالصلاح هنا صلاح الدين، وانهم يتوبون إلى الله بعد فعلتهم الشنعاء، ولكن ظاهر السياق يدل على ان المراد بالصلاح صلاح شأنهم مع أبيهم، وان يتفرغ لهم وحدهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠] السيارة هم المسافرون، وعن سفر التكوين من التوراة ان الذي أشار عليهم بهذا هو أخوهم روبين، وانه قد كان في

نيته أن يخرج يوسف من الجب بعد ذهاب إخوته.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١] نحبه ونريد له الخير، وهكذا الغادر الماكر في كل زمان ومكان، ذئب في جلد حمل: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، لقد علموا ان أباهم يحب يوسف، ويحب أن يتنعم ويفرح، وعلموا أيضا شدة حرصه عليه، فدخلوا إلى نفسه من أبوابها، يوسف يلعب وهم يحرسونه من كل مكروه.. ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣]، اعتذر إليهم بأنه لا يطيق فراق يوسف، فضاعف هذا العذر من حقدهم على يوسف، وأيضا اعتذر بأنه يخاف عليه من الذئب، وعقّب الرازي على هذا العذر بقوله: «وكأنه قد لقنهم الحجة، وفي الأمثال: ان البلاء موكل بالمنطق».

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤] أي عاجزون لا نصلح لشيء: واغتر الشيخ بقولهم وأرسل معهم يوسف، وكانوا من القوم الخاسرين: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٥] ونفذوا ما أجمعوا عليه، وهم يحسبون انهم قد أصابوا ما يريدون، ولكن يوسف فوّض أمره إلى الله فوقاه سيئات مكرهم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فألقى الله في روع يوسف انك ناج من محنتك هذه، وانك سوف تخبرهم بصنيعهم هذا دون أن يعرفوا من أنت.

[تفسير الكاشف]

مصائبكم بما كسبت أيديكم

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠]، يتصور العديد من الناس أن علاقة أعمال الإنسان بالجزاء الإلهي مثل العقود الدنيوية وما تحتويه من الأجر والعقاب، في حين قلنا مراراً إن هذه العلاقة أقرب ما تكون إلى الارتباط التكويني منه إلى الارتباط التشريعي، وبعبارة أُخرى فإنّ الأجر والعقاب أكثر ما يكون بسبب النتيجة الطبيعية والتكوينية لأعمال الإنسان حيث يشملهم ذلك، والآية أعلاه خير شاهد على هذه الحقيقة.

وبهذا الخصوص هناك روايات كثيرة في المصادر الإسلامية نشير إلى بعضها لتكميل الموضوع:

١ ورد في إحدى خطب نهج البلاغة: «**ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش، فزال عنهم إلّا بذنوب اجترحوها، لأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم، وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نياتهم، ووله من قلوبهم، لردّ عليهم كلّ شارد، وأصلح لهم كلّ فاسد**»[١].

٢ وهناك حديث آخر عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في (جامع الأخبار) حيث يقول: «**إنّ البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة**»[٢].

وهذا الحديث خير شاهد للاستثناءات التي ذكرناها لهذه الآية.

٣-وورد في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي أنّه قال: «**إن العبد إذا كثرت ذنوبه، ولم يكن عنده من العمل ما يكفرها، ابتلاه بالحزن ليكفرها**»[٣].

٤ وهناك باب خاص لهذا الموضوع في كتاب أصول الكافي يشمل ١٢ حديثاً[٤]، وكل هذه هي غير الذنوب التي صرحت الآية أعلاه بأن الخالق سيشملها بعفوه ورحمته، حيث إنّها بحد ذاتها كثيرة.

[تفسير الامثل]

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨١، ص١٩٨.

(٣) اصول الكافي: ج٢/ ص٤٤٥ / ح ٢.

(٤) المصدر السابق.

أوراق فلكية

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

الحلقة العاشرة: المقياس العقلي العام للزوم الاهتمام بالشيء:

إن للإنسان اهتماماً ببعض الأشياء دون بعض؛ بدليل أنه يرغب في بعض الأشياء والأفعال ويكره بعضاً آخر، فهو إذن يسعد ببعضها فيطلبها، ويشقى ببعض آخر فيكرهها، وأصل هذا الأمر يحصل للإنسان بغريزته -كما يحصل للحيوانات أيضاً -، ويكفي في حصوله له أن يحس به ويدركه ولو بأدنى مستويات الإدراك، فلا يتوقف على التعقل.

وأما العقل الإنساني، فهو يقضي بقاعدتين فطريتين تجريان في شعوره وارتكازه مجرى الدم في عروقه، وتمثلان أساساً لجميع تصرفات الإنسان المعقولة:

القاعدة الأولى: إن ضابط السلوك السليم أحد أمرين:

الأول: اتباع الحكمة:

ومرجع الحكمة إلى رعاية السعادة والشقاء على وجه جامع؛ فلا يقدم الإنسان تحصيل لذة يسيرة عاجلة على معاناة طويلة آجلة، بل لا ينساق خلف لذة عاجلة من دون البحث والفحص عما يمكن أن تخلّفه من معاناة.

وتوضيح ذلك: أن بإمكان الإنسان أن يكتشف بقوّة العقل والتفكير العواقب المستقبلية لتصرفاته وأفعاله، كما أن بإمكانه الاهتداء إلى ما يغيب عن إحساسه من الأضرار الحالية غير المحسوسة، وهو يتميّز في ذلك عن الحيوانات؛ حيث لا يتأتّى لها ذلك إلا بمقدار ما ض ما ضمنت غرائزها من رعاية مصالحها.

وعليه: فإنه يلزم الإنسان تحرّي مقتضيات السعادة والشقاء - عاجلها وآجلها، ظاهرها وباطنها - والأخذ بما تقتضيه ملاحظة مجموعها؛ فلا يرجح اللذة اليسيرة العاجلة المشهودة على المعاناة الطويلة الآجلة أو غير المحسوسة ابتداءً.

وهذا المعنى من البديهيات العامة المعروفة لدى كل إنسان؛ فكل إنسان يذعن بوضوح بأن مقتضى العقل تقديم الأهم على المهم، والمهم على ما لا أهمية له، ولا يزال بعض الناس ينصح بعضاً آخر بتأمل عاقبة الشيء، وينهاه عن الاندفاع العاجل فيما لا تحمد عاقبته، بل هذا المبدأ مما يعيه الطفل أيضاً، وإنما يقع النصح به تذكيراً لا تعليماً؛ لأن الرغبات العاجلة قد تؤدي إلى عدم تقدير العواقب العاجلة، كما أن بعض الشهوات قد تضعّف الإرادة وتغلب سلطان العقل.

فالحكمة مجموعة في كلمتين: الاعتبار بالغائب حتى كأنه حاضر، والاعتبار بالمستقبل حتى كأنه حالّ وقائم.

الثاني: مراعاة القيم الأخلاقية:

مراعاة القيم الأخلاقية وإن أدت إلى نكد وعناء؛ فلا يصح في حكم العقل أن يكذب المرء، أو يتعدى على الغير، أو على ماله، أو يسيء إليه، أو يترك المضطر ليموت، وإن كان في ذلك لذة يشعر معها بالسعادة ولا يخشى منها ضرراً عاجلاً أم آجلا.

وهذا المعنى أيضاً من البديهيات التي يجري عليها عمل عامة الناس -على الإجمال-؛ فإن القيم الأخلاقية -الإيجابية والسلبية- من أصول قواعد السلوك الإنساني، كما سبق التذكير به في تمهيد البحث.

الفرق بين الحكمة والفضيلة:

وبذلك يتبيّن أن مراعاة القيم الأخلاقية لا ترجع إلى مراعاة السعادة والنفع- بمعنى: النفع على وجه جامع -؛ لافتراقهما في موردين:

الأول: أن تكون مراعاة القيمة الأخلاقية وعدمها سواء من حيث الآثار التي يرجوها أم يحذرها.

الثاني: أن يكون في مراعاة القيمة عناء ومشقة أزيد بالقياس إلى ما لو لم يراعها وحينئذ يشعر المرء بالتضحية في مراعاتها، كمن يعرض نفسه للخطر لإنقاذ الآخرين، وكمن يؤثر الآخرين بماله رغم حاجته.

ويتضح الفرق بين مقولة الحكمة - بمعنى تحرّي النفع على الوجه الجامع - وبين مقولة القيم الأخلاقية، لو لاحظنا حال من يترك السرقة مع قدرته عليها.. فهو تارة: يتركها حذراً من انكشاف الأمر والمعاقبة عليها ويقدر أن مفسدة ذلك أزيد من المنفعة التي يرجوها بالمال المسروق، وأخرى: يكون تجنب السرقة كراهة للتعدي على مال الغير ورغبة عن الانتفاع به.

فالسبب في اجتناب السرقة في الحالة الاولى ملاحظة حسابات النفع والخسارة فحسب؛ ومن هنا يكون اجتنابه هذا رعاية لحكم العقل الحكمي، بخلاف الحالة الثانية التي لا ينطلق الاجتناب فيها من حسابات النفع والخسارة؛ إذ قد يعتقد المرء جازماً أنه لو فعل لم ينكشف عمله، ولهذا يكون تركه منطلقاً من الاستجابة للعقل القيمي والضمير الإنساني. هذا، وينبغي تتميم هذه القاعدة بنقاط ثلاث شارحة لها:

النقطة الأولى: في التأكد من عدم رجوع مقولة القيم إلى مقولة الحكمة -بمعنى تحرّي النفع وتوقّي الضرر على وجه جامع- ؛ إذ قد يُدّعى أن حكم العقل برجحان الأعمال الفاضلة وحظر أضدادها يرجع في الحقيقة إلى ملاحظة مقتضى الحكمة فيما ينفع المرء ويضره بأحد وجهين:

الوجه الأول: بالنظر إلى أن مراعاة القيمة الأخلاقية يرافق ضرباً من السعادة المعنوية؛ لأنها تورث شعوراً بالرضا عن النفس والانسجام معها، كما أن انتهاكها يوجب ضرباً من الشقاء النفسي؛ لما تورثه من الشعور بالنكد والحزازة ووخز الضمير.

وعليه: تكون مراعاة القيمة طلباً للرضا عن النفس أو تجنباً للنكد والحزازة، وهما أيضاً جزء من الشقاء والسعادة؛ إذ لا يصح حصر السعادة والشقاء لدى الإنسان بالمتعة والالتذاذ الحسي ونحوها كالمال والجاه.

ولكن الواقع أن هذا الوجه مخالف للوجدان العام؛ إذ تفقد التضحية بناءً عليه معناها؛ لأنها لا تزيد حينئذ على ترجيح بعد نفسي معنوي على بعد نفسي مادي، وهذا خلاف البداهة العقلائية.. في عدّ التضحية والإيثار بالمال والنفس لأجل الآخرين تجاوزاً للذات وإهمالاً لمآرب النفس.

على أننا قد نجد المرء يراعي قيمة معنوية من غير أن يحدث في داخله أي حزازة معتد بها فيما لو لم يراع تلك القيمة، فمثلاً: من يحتضن الانتحاري لينقذ الآخرين، أو يرجع في الحرب على أدباره لحفظ شخصه، قد لا يجد حزازة كبيرة توجب تضحيته بنفسه ولا سيّما إذا كان ذلك حالة متعارفة

في زملائه لا محاسبة عليها أو تشهير، ولكنه رغم ذلك يعرض عن الحياة وملذّاتها، ويقدم على هذه الخطوة الفاضلة.

الوجه الثاني: أن يدعى أنه لا حكم عقلي مغروس في باطن الإنسان، بل هذه الأحكام المنسوبة إلى العقل العملي مما يجعله العقلاء رعاية لمصالح النوع وحفظاً للنظام الإنساني كما عليه الاتجاه المشهور في المنطق الأرسطي؛ حيث يلقن الإنسان -هذه القضايا منذ صغره؛ فيظن أنها تنبعث من داخله.

ولكن هذا الادعاء أيضاً ينافي الوجدان العام؛ فإن من المشهود انبعاث القبح والحسن من ضمير الإنسان.

نعم، قد يتحفّز هذا الاستعداد بعد مرحلة الإدراك ويستعلي تدريجياً، وقد يوجب التلقين تحفز هذا الاستعداد مبكراً، ولكن هذا لا يعني أن هذا الاستعداد وليد التربية.. كما هو الحال في اللغة؛ حيث إن الطفل تتكوّن له لغة لا محالة فيما إذا لم يعلّمه البالغون لأن اللغة حاجة إنسانية ماسة، والإنسان بطبيعته ناطق؛ فيريد التفهم والتفهيم بالنطق.. ولكن البالغين يسبقون الطفل بتلقينه باللغة؛ فيحفزون فيه الحسّ اللغوي مبكراً؛ فالحسّ اللغوي في الطفل ليس وليد التلقين، بل يتحفّز به بهذا العامل الخارجي، وهذا أمر واضح.

فتبيّن من هذا العرض: أن باب الفضيلة يغاير باب النفع والضرر؛ فهو شعور في داخل الإنسان يجرّه إلى اتجاه الفضيلة ويبعّده عن اتجاه الرذيلة، من غير أن يتحرّى به منفعة فيكون شعوراً نفعياً.

غاية الفضيلة مراعاة الصلاح:

النقطة الثانية: أن الرغبة الإنسانية إلى الفضيلة، وإن لم ترجع إلى تحرّي النفع، إلا أنه لا يبعد القول بأن الغاية والمغزى من زرع القيم في داخل الإنسان هو رعاية المصالح والمفاسد النوعية الدنيوية؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأول: المتابعة والاستقراء

فإننا نجد أن المصالح النوعية للإنسان منوطة بالفضائل، ويتضح ذلك لنا جلياً فيما لو فرضنا الإنسان حيادياً تجاه الفضائل، كما لو لم يتصف مثلاً بروح محبة الصدق وكان معتاداً على اللامبالاة فإنه ينتج عن ذلك: أن لا يثق أحد بأحد، مع أن الحياة الاجتماعية مبنيّة على أصل الصدق في المخبِر. وهكذا لو فرض أن الإنسان لم يغرس فيه روح الوفاء بالالتزامات، وكان بطبيعته غير مبالٍ تجاه أي التزام، لاستوجب انهيار الحياة الإنسانية؛ فإن الشروط والمواثيق، والعهود الفردية، والعشائرية، والدولية، والأمان كلها مبنية على قيمة الالتزام، وكذلك الحال في روح العفاف، فلو فرضنا الإنسان غير مبالٍ تجاه الارتباط بأي شخص، لكان حال المجتمع البشري أشبه بالحيوانات؛ يتحرك كل من فيه من منطلق الغريزة دون محدودية في ممارساته.

وكذا لو لم يكن الإنسان شاكراً بطبعه لا يشعر تجاه من أسدى له خدمة وإحساناً بأي إحساس إيجابي، بل كان يستوي عنده من أحسن إليه ومن لم يحسن، لزهد الناس في إسداء إحسان إلى الآخرين إلا نادراً.

وهكذا يظهر: أن الفضائل الأخلاقية تضمن المصالح النوعية للإنسان في الحياة الدنيا، ومن ثَمَّ تتحرّاها على الإجمال جميع القوانين.

نعم، هذه المصالح على ضربين:

مصالح إلزامية، تقتضي وجود إلزام قانوني عام بها، وهي الواجبات والمحرمات في الشريعة والقانون.

ومصالح غير إلزامية.. مثل التبع بالإحسان إلى الآخرين، وهذه لا تدخل في حيطة القانون الوضعي؛ ومن ثَمَّ يذكر علماء القانون أن هذه المصالح تندرج ضمن مقولة الأخلاق لا ضمن مقولة القانون؛ وذلك لأن العقل لا يستسيغ المعاقبة على تركها، ولا يستطيع القانون تقدير ثواب عليها.

ولكن القانون الشرعي يستوعب ذلك من خلال حكمي الاستحباب والكراهة؛ لأن الثواب والمكافأة لا ينحصر في الشرع بالمجازات الدنيوية، بل منهما ما يكون في الآخرة.

الوجه الثاني: ما يبتني على بيان حقيقة:

وهي أنه قد ثبت في علم الأحياء أن عامة الإمكانات التي زود بها كل كائن حي من حيث نفسه وجسمه يتجه إلى غاية معينة تقع في مصلحة هذا الكائن؛ فكثير من مواصفات الطيور مثلا مرتبة لغاية حفظها وتكاثرها وصيانتها عن صيد أعدائها، وكذلك الحال في التصرفات التي طبعت عليها حتى وإن لم تشعر هي بذلك، وهذه حقيقة متفق عليها في علم الأحياء الحديث، بل الحال كذلك في النباتات أيضاً وهي ليست ذات شعور؛ فالخصائص المجعولة فيها عموماً تتجه إلى حفظ مصالحها وربما أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ فالخلقة تتضمن إسعاف كل كائن بهَدي يوجهه إلى مصالحه بمقدار ميسور ملائم لهذه الحياة.

وعليه يصحّ القول: إذا كان الإنسان يجد من نفسه هذه المشاعر؛ فإنه يعرف بعقله أنها تؤمن المصالح النوعية وفق القاعدة الأحيائية المتقدمة.

ولا يصح النقض على هذه القاعدة بالشهوات الإنسانية التي قد توجب هلاك الإنسان؛ لأنها مجعولة أيضاً لغاية فطرية؛ وهي تأمين احتياجات الإنسان وضمان بقاء نوعه؛ فالجوع مثلا مجعول لأجل أن يكون نذير الحاجة إلى الطعام للبقاء.

نعم.. الميول الشاذة والحالات المرضية خارجة عن هذه القاعدة؛ فإن موضوعها ما متّع به النوع الإنساني من المشاعر المعتدلة؛ ومن ثَمَّ فإن من الخطأ أن يظن أنّ في بعض الميول الشاذة دلالة على تجويز فطري لتلك الممارسات؛ فإنها حالات غير طبيعية، بقرينة منافاتها مع الأعضاء والآلات التي مجهّز بها

أصحابها. وعليه: فهي من قبيل الأمراض وليست جزءاً من القانون الإنساني.

تقدّم رعاية الفضيلة على رعاية الحكمة بمعنى النفع والضرر:

النقطة الثالثة: إن مقياس الفضيلة مقدم في ميزان العقل على مقياس الحكمة بمعنى النفع والضرر؛ فلو علم المرء مثلا أنه لو لم يسرق هذا المال فسوف يقع في ضرر ما أو يفوته نفع ما، وإن سرقه لم يترتب عليه ضرر دنيوي ولا فاته نفع كذلك من جهة عدم اطلاع أحد عليه.. لو علم ذلك، فإن الفطرة تنهاه عن أن يرتكب هذا الفعل، وإلى ذلك تشير المقولة المعروفة: (الغاية لا تبرر الوسيلة)؛ فالمراد من الغاية تحصيل المنفعة الفردية أو الاجتماعية؛ فإنها لا تبرر الوسيلة غير الأخلاقية من قبيل الغدر والهتك والتعدي على الآخرين.

ثم إن ما ذكرنا من أن مقياس الفضيلة مقدم على مقياس الحكمة، إنما كان مع غض النظر عن النتائج الأخروية، وأما بحسب هذه النتائج، فموافقة الفطرة أوفق بالمصلحة على كل حال؛ لأن في موافقتها حتى بالنسبة إلى غير المؤمن بالله ما يقي من بعض الشقاء والأذى.

هذا بحسب أحد بُعدَي هذه القاعدة، ولها بعد آخر يقتضي عدم جواز الوسيلة الذميمة للتوصل إلى الغاية الفاضلة أيضاً، وحدود ذلك يحتاج إلى إيضاح لسنا بصدده.

كما أن ما ذكرناه من قبل في النقطة السابقة من أن الفضائل مناط للمصالح النوعية؛ فمن الممكن تضرر فرد ما برعاية الفضيلة ضررا دنيوياً مبنياً أيضاً على غض النظر عن النتائج الأخروية، وأما بالنظر إليها، فإن في مراعاة الفضيلة مطابقة لمصلحة كل فرد في نفسه؛ آثارها الزاهرة في الآخرة على كل حال.

إقامة الدليل على الأمر بين الأمرين بالعقل والنقل

الشيخ شريعتمدار

إنّ الله تعالى أوجد العباد على وجه الاعتدال بكونهم قادرين على الفعل والترك من غير جبر وتفويض في الأمور، بل الأمر بين الأمرين، يدلّ على ذلك:

أوّلا: العقل، من جهة استلزام الجبر كونه تعالى ظالما في تعذيب من يحمله على المعاصي كالقتل والزنى والشرك وغير ذلك، واستلزام التفويض مضافا إلى وهن السلطنة صيرورة الممكن واجبا بالنسبة إلى الوجود بعد الوجود، الذي يكون البقاء عبارة عنه، وهو محال ؛ من جهة استحالة انقلاب الماهيّة، وامتناع تعدّد الواجب، وكون الامتياز هو الإمكان الذي هو علّة الافتقار، فيكون العبد فاعلا للفعل بالمباشرة والعلّيّة القريبة، ولكن بواسطة إقدار الله وإبقائه ونحو ذلك، فلا يكون مخلوقا لله، ولا مفوّضا إلى العبد، بل يكون الأمر بين الأمرين، بمعنى أنّ المجموع المركّب من فعل الله التكوينيّ بإيجاد العبد وإحيائه وإعطائه الأسباب كالقدرة ونحوها وإبقائها، ومن فعل العبد بالمباشرة ونحوها من باب الجعل للمصلحة علّة لحصول الفعل الاختياريّ للعبد وإن كانت الإرادة التكليفيّة على خلاف الإرادة التكوينيّة، فالتركيب اعتباريّ في مقام الفعل، لا في مقام الذات حتّى يلزم نحو الوحدة أو الاتّحاد.

وثانيا: النقل، كما قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وقال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [النحل: ٣٤] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦] وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا

﴿هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩] وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على خلاف ذلك كقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] و﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧] وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨] ونحو ذلك محمولة على كون الضلالة بالاختيار كالطبيعة الشبيهة بالوصف الخلقي المجبول عليه كقلوب البهائم، أو على وسم قلوبهم بما يعلم به الملائكة ضلالتهم وعدم اختيارهم الإيمان، فيذمّونهم ويمدحون عليهم حتّى كأن الله تعالى شهد على ذلك ؛ إلى غير ذلك من المحامل.

وروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال بعد السؤال عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]: «**الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]**».

وروي عن معاوية الشامي، قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقلت: يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد أنّه قال: «**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين**» فما معناه؟ فقال: «**من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا، ثمّ يعذّبنا عليها، فقد قال بالجبر. ومن قال: إنّ الله -عزّ وجلّ- فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه، فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك**» فقلت له: يا بن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ قال: «**وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه**» فقلت له: هل لله – عزّ وجلّ- مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: «**أمّا الطاعات، فإرادة الله تعالى ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها**». قلت: فلله – عزّ وجلّ- فيها القضاء؟ قال: «**نعم، ما من فعل خير أو شرّ إلّا ولله فيه قضاء**». قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: «**الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا**».

إلى غير ذلك من الأخبار. وفي بعضها تفسير التفويض بتفويضه تعالى إلى العباد اختيار أمره ونهيه، وهو المشهور من المفوّضة، وفي هذا المقام يرد على الأشاعرة القائلين بالجبر والمعتزلة القائلين بالتفويض وأمثالهم.

[البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة]

الهدى والضلال

محمد حسن آل ياسين

مسألة «الهدى والضلال» التي عدها العلماء من توابع قضية الجبر والاختيار والقضاء والقدر،... قد وردت في القرآن الكريم عدة آيات يشعر ظاهرها بأن الله تعالى هو الذي يهدي ويضل من دون اختيار للإنسان في ذلك ﴿**فَيُضِلُّ الله مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٤] ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٣٣]، وإذا كانت الهداية والاضلال من الله تعالى فلماذا يعاقب الضالين على ضلالهم ويثيب المؤمنين على هداهم، وكلاهما من فعل الله تعالى وبإشاءته؟

ويجدر بنا قبل الجواب على هذه الشبهة أن نستعرض معاني الهدى والضلال كما وردت في كتب اللغة وكما استعملها القرآن الكريم في طيات آياته، لنفهم الغرض منها بدون لبس أو غموض:

«أصل الهداية في اللغة: الدلالة على طريق الرشد»، «و هداه للطريق وإلى الطريق... اذا دلّه على الطريق، وهديته الطريق والبيت هداية أي عرفته»، و«الهدى ضد الضلال، وهو الرشاد والدلالة»، ويقال: «هديت لك في معنى بينت لك» كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ [السجدة: ٢٦]. أما «قوله عز وجل: ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾، معناه: خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع، ثم هداه لمعيشته».

والهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق، قال الشاعر:

لا تحرمني هداك الله مسألتي
ولا أكونن كمن أودى به السفر

يعني به: وفقك الله لقضاء حاجتي، وقوله تعالى:

﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] «أي أدخلوهم النار كما تهدى المرأة الى زوجها يعني بذلك انها تدخل إليه».

و«يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق: هاد»، و«الهداية: هي الثواب» قال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩] أي يثيبهم وقال تعالى: ﴿وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨] ﴿أَنَّ الله لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] اي لا يثيب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي ليس عليك ثوابهم ولكن الله يثيب من يشاء.

و«اصل الضلال الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أي هلكنا... والضلال في الدين: الذهاب عن الحق، والاضلال، الدعاء الى الضلال والحمل عليه، ومنه قوله تعالى. ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]، والإضلال الأخذ بالعاصين الى النار».

ان النظرة الفاحصة لهذه المعاني التي يستعمل فيها لفظا الهدى والضلال ترشدنا الى ما يلي:

١- ان الإضلال قد يطلق على الاشارة الى خلاف الحق والدعوة الى الضلال والحمل عليه. وذلك ما لا يمكن وصف الله تعالى به او نسبته إليه ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ [التوبة: ١١٥]، بل ان الضلال- بصريح القرآن- لن يتحقق الا بفعل الانسان ومحض اختياره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥٠] ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النحل: ١٢٥].

كذلك يطلق الاضلال أيضا على الابطال والاهلاك مثل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ الله الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤] أي يهلكهم، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: ومن يهلك الله من الكافرين والظالمين فما له من مثيب، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤] أي فلن يبطل أعمالهم.

٢- يطلق الهدى على الدلالة الى الحق مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

كما يطلق الهدى على الاثابة أيضا مثل قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] أي سيثيبهم.

وعلى ضوء هذه الخلاصة لمعاني الهدى والاضلال نصل الى نتيجة البحث، وهي: ان الاضلال بمعنى

الاشارة الى خلاف الحق مستحيل على الله تعالى لأنه الآمر بالحق، ولا يجوز في العقل أن يشير الى خلافه أبدا.

وان الهدى بمعنى الدلالة الى الحق قد فعله الله وحققه بإرسال الأنبياء وانزال الكتب جيلا بعد جيل.

ولم يبق لدينا من المعاني المنسجمة مع الواقع سوى الاضلال بمعنى الاهلاك في العقاب والهدى بمعنى الثواب، ويكونان هما المقصودين حصرا بما يتكرر وروده في القرآن الكريم نحو قوله تعالى:

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ الله﴾ [النساء: ٨٨]: أي أتريدون أن تثيبوا من أهلك الله بالعقاب، ونحو قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] أي بالقرآن؛ حيث يهلك الله تعالى بنزول القرآن كثيرا من الناس لتمردهم عليه وعدم تنفيذهم أوامره ونواهيه بعد الزامهم بها ويثيب به كثيرا من الناس لإطاعتهم وتسليمهم واذعانهم.

واذا لم يكن الغرض من الهداية الاثابة لما فهمنا معنى مقبولا لما جاء في قوله تعالى مخاطبا نبيّه الأعظم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ولو كانت الهداية بمعنى الارشاد والدلالة لكانت هاتان الآيتان هدما لرسالة النبي في ابرز واجباتها وهو الدلالة والارشاد والتوجيه.

وعلى هذا المنهج نسير في فهم سائر الآيات المباركة التي تحمل كلمات الهدى والاضلال، حيث يتجلى لنا سلامة كل هذه النصوص القرآنية مما يتنافى مع الاختيار الكامل والإرادة الحرة المنبعثة من نفس الانسان ورغبته.

وبذلك نفهم أوضح الفهم معنى قول النبي ﷺ: «**الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه**»، اذ ليس المقصود به أنه تعالى قد خلقه مجبورا على فعل ما يشقى به من معصية وضلال أو ما يسعد به من طاعة وهدى ورشاد، وانما الغرض منه كما قال الامام الصادق عليه السلام بيان أن «**الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل الاشقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل السعداء**»، وهذا من باب انكشاف الواقع لعلم الله تعالى... وليس فيه أي معنى من معاني الجبر والاكراه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

[أصول الدين]

لماذا احياء عاشوراء بالبكاء واللطم والسواد

الشيخ مصباح اليزدي

السؤال:

إننا لا نشك في أن احياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام لها فوائد جمّة للمجتمع ولكن ألا يمكن أن نحيي ذكرى عاشوراء بطريقة أخرى غير هذه الطرق المتعارفة؟ إذ إن إقامة الشعائر لا ينحصر في البكاء واللطم ولبس السواد والبقاء إلى منتصف الليالي وما يتبع ذلك من إضاعةٍ للأعمال الذي يستتبعه أضرارٌ اقتصادية في البلد؛ لأن من يسهر الليل سيضعف حتماً عن العمل في النهار؛ فلماذا لا نقيم بدل كل ذلك جلسات علمية أو نعقد مؤتمرات أو ندوات وما شابهها، وفي ذلك تذكير للناس بمصيبة الإمام الحسين عليه السلام مع أقل ما يمكن من الأضرار؟!

الجواب:

إن الجواب عن هذا السؤال يحتاج منا أن نرجع قليلاً إلى علم النفس، لنتعرف من خلاله على جانب بسيط من (النفس الإنسانية)، ولنرى هل أن العوامل التي تؤثر في السلوك الاختياري للإنسان تنحصر بالمعرفة فقط، أي بكلام أبسط: هل العلم والمعرفة وحدهما هما المؤثران في سلوك الإنسان، أو أن السلوك يحتاج إلى عامل آخر غير العلم؟

فنحن عندما نقوم بعمل ما نلاحظ أن هناك أمرين دفعانا إلى هذا العمل أو السلوك:

الأمر الأول:

هو المعرفة أو العلم، أي بعد أن علمنا الفائدة من هذا العمل وأدركناها عقلاً باستدلال عقلي أو تجربة أو ما شاكل ذلك من الطرق الأخرى، لكن المعرفة وحدها ليست كافية لتحريكنا نحو أداء العمل المعين، بل هناك عامل آخر وهو:

الأمر الثاني:

- يعبر عنه بـ (العواطف) أو (الميول) أو (الأحاسيس) أو (الدوافع)، فهذه تساهم في تحريكنا نحو هذا الفعل أو السلوك المعين سواء كان هذا العمل سياسياً أم اجتماعياً.

فهذان العاملان أشبه ما يكونان بسيارة تتحرك في الظلام الدامس فهي تحتاج إلى ضوء يسترشد سائقها به في طريقه لئلا يقع في الحفر أو في سفح جبل مثلاً إلا أن الضوء وحده لا يكفي لتحريك السيارة فهي بحاجة إلى محرك (طاقة ميكانيكية) لتحريكها، ونفس الأمر موجود في الإنسان، فهو بحاجة إلى العلم والمعرفة في سلوكه؛ ليتعرف على الضار ويميزه عن النافع لكن المعرفة وحدها لا تكفي، إذ يفتقر الإنسان مع معرفته إلى محرك يدفعه للقيام بالأعمال. والمحرك هو العامل النفسي أو العاطفة، فمثلاً لو علم شخصٌ أن طعاماً ما مفيد له جداً لكن لا توجد عنده الشهية الكاملة لأكله حينئذ لن يستطيع أكله مع علمه بفائدته لبدنه، إذن لابدّ من توفر الدافع والميل كي يحصل الأكل.

فبعد أن عرفنا الدور المهم الذي أدته حركة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في سعادة البشرية وانها ميزت بين الحق والباطل، وكشفت زيغ الباطل وتجرده عن كل القيم الإنسانية؛ فإنّ معرفتنا هذه لوحدها لا تحفزنا لأداء أعمال مشابهة للأعمال التي قام بها سيد الشهداء عليه السلام بل إن هذه المعرفة تكون مؤثرة متى ما كان معها دافع يدفعنا نحو ذاك العمل، فالمؤتمرات والندوات والجلسات العلمية ممكن أن توفر لنا عنصر المعرفة فقط، لكننا نحتاج إلى عامل آخر كي تثمر تلك المعرفة. والجواب سيتضح أكثر فيما لو عملنا مقارنة بين حادثة رأيناها رأي العين وأخرى سمعنا بها فقط كما لو سمعنا أن في مدينتنا شخصاً معدماً فقيراً فهل ستتأثر كما لو كنا رأينا ذلك الفقير بملابسه الرثة القديمة وبجسمه النحيف الشاحب وعلامات الانكسار والحياء بادية على قسمات وجهه ماداً يده سائلاً العون من الناس؟

فالله تعالى خلق الإنسان بشكل تؤثر فيه المشاهدة أكثر من النقل والسماع فإذا جسَّدنا واقعة كربلاء بالطريقة المعروفة - كما نفعل اليوم فإنّ هذا سيترك أثراً أعمق مما تتركه معرفة الواقعة والعلم بها فقط.

أما الأضرار الاقتصادية التي هي في حقيقتها ليست بأضرار بل هي منافع اقتصادية فضلاً عن كونها روحية ومعنوية فإنها لا تعادل شيئاً في إقامة هذه الشعائر فحفظ الدين وحفظ رسالة الإمام

الحسين عليه السلام ومنهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذب عن حياض الدين لا يساوي شيئاً مهما غلى ثمنه.

كلّنا يعلم بواقعة كربلاء ويعلم الكثير من تفاصيلها، ولكن: هل يكفي هذا العلم في اجراء دموعنا وبكائنا وظهور حزننا؟! كلا.. لا يكفي ذلك.

لكن عندما نحضر مجالس العزاء ويقرأ الخطيب جزءاً من الواقعة فإننا وبلا اختيار نبدأ بالبكاء كما لو أن أحدنا فقد أباه أو أخاه، خصوصاً إذا كان صوت الخطيب شجياً وعليه مسحة حزن واستطاع أن يصور الواقعة تصويراً جيداً.

إذن فالعلم وحده لا يكفي بل لا بد من أن نسمع أو نشاهد مشاهد من تلك الواقعة بشكل ملموس كي نستشعر القضية بصورة أعمق وهذا سيؤدي إلى معرفة حقيقة عاشوراء وتحريك المشاعر نحوها مما يؤدي بالمجتمع إلى الانتهال من نبع ثورة الحسين عليه السلام والسير على نهجها.

وبهذا نعرف أن البحث العلمي وحده والندوات وحدها لا يمكن أن تؤدي دور الشعائر بل لابدّ من أن توجد بعض المشاهد التي تحرك عواطفنا، فالواحد منّا إذا خرج صباحاً من داره في اليوم الأول من شهر محرم الحرام ورأى معالم الحزن والأعلام السود قد رفعت على سطوح المنازل فإنّ ذلك سيترك أثراً في نفسه لا يشبه الأثر الذي يتركه مجرد العلم بأنه غداً سيكون اليوم الأول من شهر محرم وكذا مواكب اللطم والعزاء.

ان تخليد ذكرى عاشوراء له دورٌ مهمٌ في إيجاد عامل آخر غير المعرفة والعلم وهذا العامل (العاطفة والميل) له تأثير مهم في تحريك الإنسان نحو الحسين عليه السلام.

فالجواب من السؤال أن نقول: إن الإنسان لا تحركة المعرفة فقط بل إن العاطفة لها دورٌ أساسيٌ أيضا في تحريكه وهذه العاطفة لابدّ من تقويتها حتى تؤدي دورها، والذي يقوي العاطفة هو احياء الشعائر الحسينية.

[أما] لماذا البكاء على الحسين عليه السلام، فالبكاء ليس هو الطريق الوحيد لإثارة عواطف الناس وأحاسيسها بل هناك الفرح والسرور، وممكن أن تثار بها العاطفة فلماذا خصوص البكاء والحزن في المراسيم والشعائر الحسينية؟! بل لماذا اللطم وضرب الصدور؟ لماذا لا نحتفل ونوزع الحلوى بين الناس لأجل ذلك؟

الجواب: إن العواطف والأحاسيس لها أنواع مختلفة وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل فنحن نعلم أن الإنسان يضحك في حالات الفرح ويبكي في حال الحزن ويتألم في حال الألم و... إلى ما شاء الله من الأحاسيس، وإثارة أي نوع من العاطفة لابدّ من أن يكون مناسباً لتلك الحادثة فلا يمكن للإنسان أن يبكي بكاءً حزيناً ويقول: أنا حزين

وأبكي لأنني فرح كما لا يمكنه أن يضحك في حال الحزن!!

فالمهم أن نوع العاطفة يتناسب مع نوع الحادثة فشهادة الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في تلك الحادثة المهولة التي أعطت أعظم الدروس في التضحية من أجل العقيدة والمبدأ لا يناسبها الفرح والسرور؛ لأنها بنفسها حادثة محزنة ومؤلمة غاية الحزن والألم فلابدّ فيها من عاطفة تلائمها ولابدّ من القيام بعمل يثير حزن الناس ويجري دموعهم ويفرس العشق والحماس والحرقة في قلوبهم والشيء الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور في هذه الحادثة هو إقامة مراسيم العزاء والبلاء، بينما السرور والضحك لا يستطيع أن ينهض بهذا الدور.

إن الضحك لا يخلق من الإنسان إنساناً طالباً للشهادة.

ولا يعبّد الطريق أمامه كي يتحمل أعباء آلام ومصاعب الحروب التي تفرض على المؤمنين. إن مثل هذه الأمور تحتاج إلى عشق نابع من البكاء والحماس والحرقة وسبيل ذلك هو إقامة مجلس العزاء.

[إحياء عاشوراء.. لماذا؟]

أوراق علمية

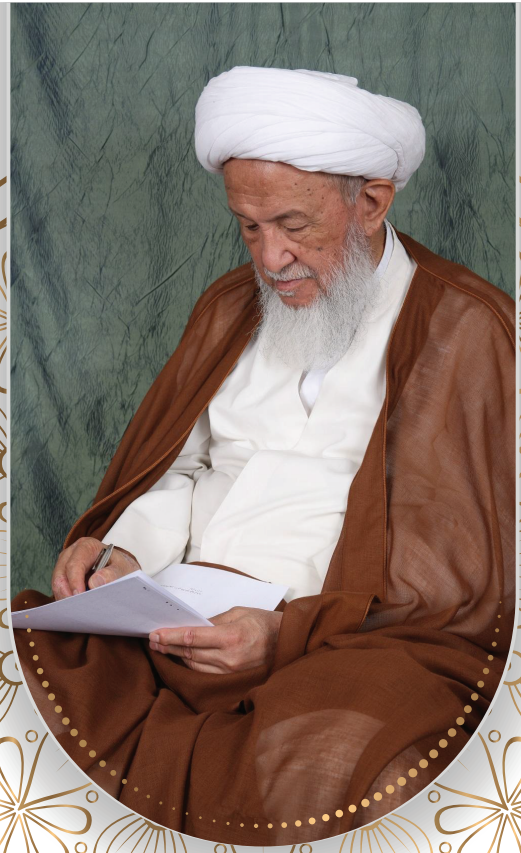

علما الفقه والأصول مترابطان بترابط متبادل على طول التاريخ

آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

إن المحور الأساسي لعملية الاجتهاد والاستنباط وموضوعها في الدين الإسلامي هو علم الأصول والفقه وهما علمان مستمدان من الكتاب والسنة ومترابطان بترابط متبادل في طول التاريخ.

حيث إن علم الأصول قد وضع لممارسة تكوين النظريات العامة وتحديد القواعد المشتركة في الحدود المسموح بها شرعاً وفقاً لشروطها العامة للتفكير الفقهي التطبيقي، وعلم الفقه قد وضع لممارسة طريقة تطبيق تلك النظريات العامة والقواعد المشتركة على عناصرها الخاصة التي تختلف من مسألة إلى أخرى ومن هنا يرتبط علم الفقه بعلم الأصول ارتباطاً وثيقاً منذ ولادته إلى أن ينمو ويتطور ويتسع تبعاً لتطور البحث واتساعه بظهور مشاكل جديدة في الحياة اليومية.

وتوضيح ذلك أن فهم الحكم الشرعي من نصوص الكتاب والسنة التشريعية في كل مسألة ومورد بحاجة إلى عناية زائدة ودقة كبيرة ومن الطبيعي إن هذا الفهم المسمى بالتفكير الفقهي لا يمكن بدون التفكير الأصولي، يعني بدون استخدام القواعد العامة الأصولية وإن كان الممارس غير ملتفت إلى طبيعة تلك القواعد وحدودها وأهمية دورها في الاستنباط الفقهي.

ومن أجل هذا الترابط الوثيق بين الفقه والأصول فكلما اتسعت البحوث الفقهية وتعمقت باتساع مشاكل صنوف الحياة بمختلف جوانبها الفردية والاجتماعية والمعنوية والمادية ووجود عناصر جديدة فيها، اتسعت البحوث الأصولية والنظريات العامة وتعمقت وتطورت؛ حيث إن اتساع الفقه دقة وعمقاً يدفع البحوث الأصولية والقواعد المشتركة خطوة إلى الأمام، فالنتيجة إن توسع البحوث الفقهية التطبيقية وتطورها عصراً بعد عصر تبعاً لتطور الحياة وتوسع مشاكلها في مختلف مجالاتها يتطلب توسع البحوث الأصولية وتطورها كذلك بنسبة واحدة.

ومن هنا كلما كان الباحث الأصولي أدق وأعمق في التفكير الأصولي وتكوين النظريات العامة والقواعد المشتركة المحددة كان أدق وأعمق في طريقة عملية تطبيقاتها على مسائلها وعناصرها الخاصة وفقاً لشروطها المحددة فإن الترابط بين العلمين ذاتا والتفاعل بينهما كذلك في تمام الأدوار والمراحل يستدعي وجدانا أنه إذا بلغ مستوى التفكير الأصولي درجة بالغة من الدقة والعمق بلغ مستوى التفكير الفقهي التطبيقي نفس الدرجة ولا يعقل أن يكون مستوى التفكير الأصولي بالغاً درجة كبيرة من الدقة والعمق والسعة ويبقى مستوى التفكير الفقهي التطبيقي دون ذلك المستوى والدرجة وهذا خلاف فرض ارتباط الفقه بالأصول وتولده منه.

وبكلمة إن النظريات العامة الأصولية كلما كانت موضوعة في صيغ أكثر عمقاً وصرامة وأكبر دقة وأوسع مجالاً تطلبت في مجال التطبيق دقة وعمقاً أكبر والتفاتاً أكثر وأوسع، وهذا معنى الترابط والتفاعل بين الذهنية الأصولية والذهنية الفقهية، وهاتان الذهنيتان متبادلتان على مستوى واحد في تمام أدوارهما ومراحل وجودهما؛ لأن دقة البحث في تكوين النظريات العامة في الأصول تنعكس تماما في الفقه على صعيد التطبيقات، ولا نقصد بذلك أن عملية تطبيق النظريات العامة على المسائل والعناصر الخاصة في الفقه لا تحتاج إلى أي تفكير وبذل أي جهد ودقة، بداهة أن المجتهد كما أنه بحاجة في دراسة النظريات العامة في الأصول وتكوين القواعد المشتركة وفق شروطها العامة، إلى التفكير دقة وعمقاً وبذل الجهد العلمي المتعب خلال سنين متمادية، كذلك أنه بحاجة في تطبيق تلك النظريات العامة والقواعد المشتركة على عناصرها الخاصة إلى دراسة جوانب التطبيق وممارستها بدقة وما يرتبط بها من القرائن الخارجية في كل مسألة بلحاظ طبيعة تلك المسألة وأرضية موردها، بل نقصد بذلك أن الذهنية الأصولية النظرية ترتبط بالذهنية الفقهية التطبيقية على طول التاريخ وفي تمام المراتب، فإذا بلغت الذهنية

الأصولية درجة أكبر عمقا وأكثر دقة انعكست تماما على الذهنية الفقهية وتطلبت في مجال التطبيق دقة أكثر وعمقاً أكبر، ثم إن الهدف من وراء الأمر الأول التنبيه والتذكير على النقاط التالية:

الأولى: إن الحركة الفكرية الاجتهادية وتطورها وتعمقها في كل عصر بدرجة أكبر سعة وأكثر دقة المستمدة من الكتاب العزيز والسنة النبوية تؤكد بشكل قاطع أصالة المسلمين واستقلالهم في تشريعاتهم المادية والمعنوية والاجتماعية والفردية والثقافية والأخلاقية.

الثانية: إن الشريعة الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة لحل مشاكل الإنسان الكبرى المعقدة في مختلف جوانب الحياة.

الثالثة: إن سد باب هذه الحركة الفكرية الاجتهادية العظيمة أو التنقيص من شأنها إطفاء لبدية مشعل الكتاب والسنة أو التنقيص من شأنهما.

والهدف من وراء الأمر الثاني التنبيه على أن ما هو متداول في بعض الألسنة إن العالم الفلاني أصولي ليس بفقيه أو بالعكس فهو كلام عامي بعيد عن الواقع وصادر عمن لا يلتفت إلى طبيعة القواعد الأصولية وحدودها وأهمية دورها في عملية الاستنباط والاجتهاد الفقهي ومدى تأثير هذا الارتباط والتفاعل بينهما في العملية، لما عرفت الآن من أن الترابط والتفاعل بين العلمين ذاتي فلا يمكن التفكيك بينهما في جميع المستويات فالفقيه في نفس الوقت أصولي قدير والأصولي في نفس الوقت فقيه بارع.

[نظرة خاطفة في الاجتهاد]

علاقة علم الرجال بالعلوم الشرعية

الشيخ عبد الهادي الفضلي

أعني بالعلوم الشرعية هنا العلوم الاسلامية التي تسهم في عملية الاجتهاد الشرعي واستنباط الاحكام من السنة الشريفة، وهي:

- علم الرجال.
- علم أصول الفقه.
- علم الفقه.

١ـ علاقته بعلم الرجال

قلت فيما سبق عن علم الحديث أنه يشترك مع علم الرجال في دراسته السند، ويختلفان في الحيثية أو الموضع الذي يتناوله كل منهما، فعلم الرجال يدرس أحوال الرواة ومن حيث الوثاقة وعدم الوثاقة، وهو بهذا يهيئ لعلم الحديث الجزئيات التي يطبق عليها قواعده الكلية.

وذلك أننا عندما نريد أن نقيم حديثاً معيناً من جهة السند، نرجع الى كتب الرجال، ونتعرف احوال رجال سند هذا الحديث المعين، فإن كانوا جميعاً مثلاً من الاماميين العدول، فالسند من نوع الحديث الصحيح، ببركة تطبيق القاعدة التي افدناها من علم الحديث، وهي أن كل سند كان جميع رواته إماميين عدولاً هو سند صحيح.

ولو أردنا أن ندخل هذا في قياس منطقي من الشكل الاول نقول:

هذا السند رجاله إماميون عدول +وكل سند رجاله إماميون عدول سند صحيح =فهذا سند صحيح.

ثم نؤلف قياسا آخر ومن الشكل الاول أيضا لإثبات اعتباره وحجيته التي افدناها من

علم أصول الفقه كما سيأتي فنقول: هذا سند صحيح+وكل سند صحيح سند معتبر= فهذا سند معتبر.

فالعلاقة بين علم الرجال علم الحديث تقوم على أساس من أن علم الرجال يهيئ الجزئيات بتعريفه الرواة وتقييمه إياهم من حيث الوثاقة واللاوثاقة لعلم الحديث، فيقوم علم الحديث بتطبيق كلياته عليها، فيعرف ببركة هذا التطبيق مدى اعتبار الرواية من حيث السند ومدى عدم اعتبارها.

ولنأخذ مثالاً لذلك: رواية الشيخ الكليني في(الكافي) باب فضل المعروف وهي:

((علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي عمير عن معاوية بن عمار: قال أبو عبد الله عليه السلام **أصنع المعروف الى كل أحد، فإن كان أهله وإلا فأنت أهله**)).

فإننا لمعرفة مستوى هذه الرواية نرجع أولا الى كتب الرجال لنعرف قيمة كل راوٍ من رواة سند هذه الرواية الشريفة، وكالتالي:

١ـ علي ابن ابراهيم القمي: إمامي عادل (أنظر: رجال النجاشي).

٢ إبراهيم بن هاشم القمي: إمامي عادل (أنظر: معجم رجال الحديث للخوئي).

٣ـ محمد بن أبي عمير: إمامي عادل (انظر: رجال النجاشي).

٤ـ معاوية بن عمار الدهني: إمامي عادل (أنظر: رجال النجاشي).

وبعد رجوعنا الى كتب الرجال، ننتهي الى النتيجة التالية وهي: أن جميع رواة هذه الرواية هم إماميون عدول.

ونرجع ثانياً الى علم الحديث لنرى أن هناك قاعدة من قواعده تقول: إن السند اذا كان جميع رواته إماميين عدولاً فهو صحيح معتبر، وبتطبيق هذه القاعدة على سند الرواية المذكورة تكون الرواية من حيث سندها من نوع الحديث الصحيح.

٢ علاقته بعلم أصول الفقه

في علم أصـول الفقه يبحث عن حجية مصادر التشريع الاسلامي وكيفية الاستدلال بها لاستفادة الحكم الشرعي منها.

ومن هذه المصادر السنة الشريفة، وتمثل السنة في الحديث الشريف.

والحديث كما يذكر في أصول الفقه ويحرر على نوعين:

١ـ ما هو مقطوع بصدوره عن المعصوم، وهو الخبر المتواتر، وخبر الواحد المقترن بما يفيد القطع بصدوره عن المعصوم.

٢ـ ما هو مظنون الصدور عن المعصوم.

ولإثبات أن الحديث سنة يستدل بها ويحتج

لا بد من إثبات حجية القطع وحجية الظن المشار إليهما.

وهذا لا نفيده إلا من أصول الفقه، لتكفله بذلك.

ونحن هنا لو رجعنا الى الرواية السابقة كمثال وهي خبر واحد غير مقترن بما يفيد القطع بصدوره عن المعصوم، وأقصى ما يفيده هو الظن بصدوره عن المعصوم.

وقد ثبت في علم أصول الفقه أن خبر الاحاد المظنون الصدور حجة يستدل به ويعتمد عليه، تكون هذه الرواية مما يعتمد عليه، وتعتبر دليلا يحتج به.

وإذا أردنا أن نؤلف قياساً منطقياً من الشكل الاول نقول:

هذه الرواية خبر واحد مظنون الصدور

+وكل خبر واحد مظنون الصدور حجة= فهذه الرواية حجة.

فالعلاقة بين علم الحديث وعلم أصول الفقه تقوم على أساس من تطبيق قواعد أصول الفقه على قواعد الحديث التي هي بمثابة جزيئات ومصاديق لها.

ونحن هنا نتدرج من علم الرجال الى علم الحديث فعلم أصول الفقه.

ففي علم الرجال نثبت قيمة الرواة، وفي علم الحديث نثبت قيمة الرواية، وفي علم أصول الفقه نثبت حجية الرواية.

٣ علاقته بعلم الفقه

ومما تقدم نتبين وبوضوح علاقة علم الحديث بعلم الفقه في مجال تطبيق الاجتهاد واستعمال عملية الاستنباط، إذ هو أعني علم الفقه المرحلة الاخيرة التي ينطلق منها المجتهد لمعرفة الحكم الشرعي، وذلك أنه بعد ثبوت حجية الرواية وصلاحيتها للاستدلال بها يعتمدها الفقيه مصدراً تشريعيا يفيد منه الحكم المطلوب في ضوء ما لديه من وسائل علمية أخرى يستعملها في معرفة دلالتها.

[أصول الحديث]

وسائل الشيعة

السيد جواد الشهرساني

كتاب وسائل الشيعة بغية كل محقق، ومشكاة كل فقيه، قبس وضاء يستضيئ العلماء بنوره ويرتوون من معينه المتدفق، ويغوصون في أعماقه لاقتناء درره.

خير مجموعة حديثية منتقاة من كلام هداة الأُمّة ومنقذيها من الضلالة والغواية، ورشحات عبقة من هدي أئمة أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والوسيلة التي ترفد الفكر النيّر لاستنباط الأحكام الشرعية، والمحور الذي تدور عليه رحى الأبحاث العليا في الحوزات العلمية لترتيبه الجيد ومنهجيّته الحسنة، وهو كما قال مؤلفه:

(كتاب يطمئن الخاطر به، وتركن النفس اليه، ويصلح للوثوق به والاعتماد عليه، ويكتفي به أرباب الفضل والكمال، في الفقه والحديث والرجال، كتاب كافل ببلوغ الأمل، كاف في العلم والعمل، يشتمل على أحاديث المسائل الشرعية، ونصوص الأحكام الفرعية، المروية في الكتب المعتمدة الصحيحة التي نصّ على صحّتها علماؤنا نصوصاً صريحة، تكون مفزعاً لي في مسائل الشريعة، ومرجعاً يهتدي به من شاء من الشيعة).

استخرج مؤلفه الأحاديث الكثيرة في الفروع الفقهية والآداب الشرعية من الكتب الأربعة، وأضاف إليها أحاديث كثيرة من كتب الأصحاب الأُخرى التي تربو على مائة وثمانين كتاباً، ووزّع الاحاديث حسب الترتيب الفقهي من الطهارة الى الديات.

لقد افنى مؤلفه الشيخ محمد بن الحسن بن علي ابن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري المتوفى عام ١١٠٤ هجرية ما يقارب العشرين عاماً من عمره الشريف في تأليف هذا السفر العظيم، وبذل مجهوداً كبيراً وشاقاً بمؤازرة وتأييد إلٰهي.

قال العلّامة الكبير آية الله العظمى السيد البروجردي رحمه الله في مقدمته لكتاب جامع أحاديث الشيعة عند ذكره وسائل الشيعة أنه: جاء بأحسن ما صنّف في هذا الفن وله علينا حق عظيم، شكر الله تعالى مساعيه وأرضاه.

وقال المحقق الخونساري في روضاته (ج ٧/ ٩٦):

هو صاحب كتاب «وسائل الشيعة»، وأحد المحمدين الثلاثة المتأخرين الجامعين لأحاديث هذه الشريعة، ومؤلّف كتب ورسائل كثيرة أُخَر في مراتب جليلة شتى... [كان] في غاية سلامة النفس وجلالة القدر، ومتانة الرأي، ورزانة الطبع، والبراءة من التصلب في الطريقة، والتعصب على غير الحق والحقيقة، والملازمة في الفقه والفتوى لجادة المشهور من العلماء، والملازمة للصدق والتقوى في مقام المعاملة مع كل من هؤلاء وهؤلاء.

[مجلة تراثنا]

أوراق تاريخية

ساعة الوداع لسيد الشهداء عليه السلام

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

كلّما ازداد الشيء عظمة وتعالى خيراً وبركة، وتوفّرت غرر اوصافه من جميع اطرافه، وتسامت معاليه من كلّ مناحيه ازدادت حيرة العقول فيه، وقصرت الأفهام عن ادراك كنهه واداء حقّه، هناك وما أدراك ما هناك، تقف الافهام، وتنكسر الأقلام، وتطيش اللباب، وتوصد الابواب دون الدخول الى مجاز حقيقته وحقيقة مجازه، وحلّ ألغازه، ومعرفة سرّ اعجازه مهما اطنبت واطالت، ومهما انشأت وقالت فإنّ قصارها الاعتراف بالتقصير بل القصور عن التعبير والتصوير.

خذ اليك مثلًا على ذلك هذا القرآن العظيم فقد مضى على نزوله من المبدئ الأعلى من السماء الاسمى الى هذه الأرض السفلى زهاء اربعة عشر قرناً (الف سنة وزهاء اربعمائة عام)، وفي كل عام من الصدر الأول الى اليوم تنشر عنه المقالات وتؤلف المؤلفات، مطوّلة ومختصرة عن بلاغته وفصاحته، واعجاز آياته ودقائق نكاته، وربما ينوف هذا النوع من المؤلفات على الالوف بل عشرات الالوف، ولكن أترى ان جميع اولئك الكتبة بلغوا من عظمة مقدار عشر معشاره؟ او وزنوا دانقاً

من قنطاره؟ او انتهلوا القطرة من بحره؟ او اهتبلوا الذرة من ذروته؟ لا ولا وكلّا ولقد احسن العارف ابن الفارض فيما فرض في احدى عرفانياته حيث قال:

وعـلى افـتـنـان الـواصـفـين بوصفه
يفنى الـزمـان وفيـه مـا لم يوصف

ولعل من قال ان القرآن لم يُفَسَّر حتى الآن لم يبالغ فيما قال كل ذلك لتعاظم القرآن وتساميه، وارتفاع افق اسراره عن افق ادراك البشر.

ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فاجعة الطفّ التي حدثت عام احدى وستين هجرية، ولا يزال المؤرخون وارباب السير والمقاتل والفلاسفة والادباء وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها وتسلسل اسبابها، واليم وقعها، وعظيم هولها نظماً ونثراً، وتمثيلًا وتحليلًا، حتى لو امكن تعداد نجوم السماء، وجاز الصعود الى الجوزاء امكن احصاء كل ما قيل وما نظم وما نثر في هذه الحادثة النكراء التي ما حدث في عصر من العصور نظيرها ولا حدث التاريخ بمثلها، ولكن كأن كل من كتب فيها اوجز او اطنب، وقصّر او اطال ما اعترضها الّا من ناحيتها السطحية ولا تناولها الّا من وجهتها التاريخية، وما اقلّ من استطاع سبر جرحها الدامي وغورها العميق، واسرارها الغامضة من كلّ ناحية من نواحيها وكلّ فصل من فصولها، لأنه على الغالب غير مستطاع لهم ولا تصل الى اقلّه اكثر او اكبر مداركهم.

على القاعدة التي افتتحنا بها كلمتنا من انّ الشيء كلّما ازداد عظمة تزداد فيه الحيرة، فترتبك الأفهام، وتقف الأقلام، وتعجز الأرقام، قل لي بربك ريشة ايّ رسام مصوّر مهما كان فناناً بارعاً ومصوّراً ماهراً يستطيع ان يمثّل ويصوّر لك حالة الحسين عليه السلام بعد الظهر بساعتين من يوم عاشوراء بعد مصرع جميع اولاده واخوته وبني اخيه وبني عمومته جعفر وعقيل وجمهرة اصحابه حتى الأطفال والشباب الذي لم يبلغ الحلم، فها هي جثثهم على رقعة الارض المحمرة بدمائهم في حرّ الهجير تصهرهم الشمس نصب عينه بين المعركة والمخيم، وقد خفقت اجنحة المنية على رأسه، وجراحاته تشخب دماً، وقد بنى عليه درعه بنياناً، وحال العطش بينه وبين السماء كالدخان، ولما رأى انه لم يبق بينه وبين الشهادة الّا سويعة، ليس بينه وبين هبوط جسده المبضّع الى الأرض وعروج روحه المعذبة الى السماء، نعم لم يبق الّا هذه الحملة الأخيرة يدخل الى الميدان ثمّ لا يخرج منه الّا ورأسه على السنان.

نعم، من ذا الذي يقدر ان يصوّر لك الحسين عليه السلام وقد تلاطمت امواج البلاء حوله، وصبّت عليه المصائب من كلّ جانب، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الاطفال، فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات علي والزهراء عليهما السلام فخرجت المخدرات من الخدور كسرب القطا المذعور، فأحطن به وهو سابح بدمائه، فهل تستطيع ان تتصور حالهن وحال الحسين عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطّر قلبك؟ ولا يطيش لبّك؟ ولا تجري دمعتك؟ اما انا فيشهد الله وكفى به شهيدا اني اكتب هذه الكلمات عصر هذا اليوم

العاشر من محرم سنة (١٣٧٣) هـ- ولعلها الساعة التي وقف فيهاعليه السلام لوداع اهل بيته اكتب والقلب يرتجف، والقلم يرتعش والعين تدمع والحشا تذوب وتتلاشى، لا ادري كيف اعبر؟ وكيف اصوّر ذلك الموقف المهوّل؟ واعجب كيف لم تسقط السماء على الأرض اسى وحزناً ولوعة وشجواً؟ غيرة الله وحجته يريد ان يرتحل من هذه الدنيا ويترك هذه الحرائر المخدرات في تلك الصحراء، يتركهنَّ في الصحراء بين جثث القتلى ومصارع فتيانهنَّ، وبين الوحوش الكاسرة التي قتلت رجالهنَّ واطفالهنَّ، تدبّر ما شئت وفكّر ما وسعك التفكير، وتأمّل كيف حالهعليه السلام في فراقه اياهن وهن بذلك الوضع الشائك، وكيف حالهنَّ في فراقهنَّ اياه وهو غيرة الله، وهنَّ ودائع الله وودائع رسوله، تجسّمت للحسينعليه السلام عند التوديع في تلك البرهة القصيرة، وتمثّل له كلّ ما تصبّه سحائب المصائب على هذه الحفنة من اليتامى والنسوة الثواكل اللاتي ما فيهنَّ الّا من فقدت عزيزها من ولد او اخ او زوج وكم فيهنّ من فقدت كلّ اولئك وكلّ عميد لها وزعيم.

مشى الدهر يوم الطف اعمى فلم يدع
عـــماداً لهـــا الّا وفـيــه تـعـثّـرا

تمثّل للحسينعليه السلام حالهنّ من ساعته تلك الى رجوعهنَّ الى المدينة، واشدّ ما يشجيه ويبكيه لو كان مجال للبكاء ما يمرّ عليهنَّ تلك الليلة ليلة الحادية عشرة وصبحها يوم الرحيل مفكّرا من يراقبهنَّ تلك الليلة في تلك الصحراء ومن يحميهنّ ومن يطعمهنَّ؟ ومن يسقيهنَّ؟. نعم وهوعليه السلام امام كل هذه الخواطر صابر، وبينما هو يودّع ودائع النبوة ويأمرهن بالصبر[1] اذ استعجله جيش بني امية وناداه مناديهم للنزال ودخل خيمة النساء فودعنه ولسان حال كلّ واحدة يقول:

ودعـتــه ونـــوديّ لـو تـودّعـنـي
روح الحـيــاة واني لا اودعّـــه

[جنة المأوى]

---

(١) رجع الحسين الى حرمه مرة اخرى وودعهم وامرهم بالصبر ووعدهم الثواب والأجر وامرهم بلبس آزارهم وقال: لهم استعدوا للبلاء واعلموا ان الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة امركم الى خير ويعذّب اعداءكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية انواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ثم توجه الى قتال اعدائه.
قال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه مادام مشغولًا بنفسه وحرمه والله ان فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين اطناب المخيم وشك سهم بعض ازر النساء فدهشن وارعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن الى الحسين كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق احداً الّا يعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره انظر مقتل الحسين او حديث كربلاء/ ص ٣٢٣ ط ٢ النجف. لسيدنا الحجة السيد عبد الرزاق المقرم النجفي، وجلاء العيون للسيد عبد الله الشبر ج ٢ ص ٢٠٥ ط النجف.

ملحمة الطف

السيد محمد باقر السيستاني

إنّ ملحمة الطفّ حقّاً ملحمةً فريدةً في التاريخ الإنسانيّ والإسلاميّ، وفي عدة مستويات:

أوّلاً: في مستوى الظلم والاضطهاد الذي مارسته سلطة ظالمة ومستبدة وأشياعها لإمام واجب الطاعة، وعبد صالح من عباد الله سبحانه المصطفين من ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله بعد نصف قرن فقط من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله في أثر انحراف مسيرة الحكم والأمّة.

ثانياً: في مستوى التضحية التي أقدم عليها الحسين (صلوات الله عليه) ومَن معه.

ثالثاً: في مستوى الأثر العظيم الذي تركته؛ حيث أدّت إلى إحياء الدين وإيقاظ الأمّة، ولولا ملحمة الطفّ لاضمحلّ الإسلام وأصبحت دولة المسلمين دولةً قيصريّةً يتصدّرها البطن الأمـويّ مِـن قبيلة قـريـش، والـذي لم يؤمن بالإسلام أبداً وإنّما استسلم حين فتح مكّة حفاظاً على رجاله ومكانته ليحكمهم بالجور والظلم والاستبداد ويعود بها إلى أعراف الجاهليّة بدلاً من العدل والمعروف والتشريع الإسلاميّ.

لقد كانت هذه الملحمة أعلى صوت مدوٍّ عبر التاريخ، ولن ينقطع هذا الصوت مهما حاول الطغاة، وسيبقى يدعو إلى الإيـمان والصلاح والعدل والفضيلة والإباء والعزّة. وهي أعلى منارة تـضيء مسيرة الإنـسـان في حركته نحو المبادئ الإيمانيّة الراشدة والعادلة والفاضلة ولن يتمكن أحد من إنزالها وإطفائها.

إنّ للحسين عليه السلام حـقّـاً في الإسـلام على كلّ مسلم، سـواء كان من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام أم مِن أتباع المذاهب الإسلاميّة الأخرى؛ لأنّه عليه السلام لم ينتفض لأجل بيان موقع أهل البيت عليهم السلام في هذه الأمّة فقط، بل لأجل إحياء أصل الإسلام وتعاليمه وعدله.

[و] إنّ من وفـاء كـلّ مسلم لحق الإمـام الحسين عليه السلام الإشادة بحركته المباركة، وتقديرها، وبيان أهمّيّتها وأثرها في تصحيح مسار الأمّة أداءً لبعض حقّه وعرفاناً لجميله.

ويتقوّم تأثير هذه الفاجعة بركنين رسمهما أئمّة الهدى عليهم السلام:

أحدهما: الاهتمام بزيارة الحسين عليه السلام كما اكـدت عليها النصوص المتضافرة بل جاء في بعض النصوص أنّ من لم يزره كان ذلك منه جفاءً له عليه السلام.

وثانيهما: الاهتمام بذكر مصيبته عليه السلام على وجهها المفجع الـذي يثير العواطف ويشدّ القلوب إليه عليه السلام ليكون عِبرةً وعَبرةً للمؤمنين.

ولا ينبغي أن يغفل المبلّغون ولا عامّة المؤمنين عن أهمّيّة البعد العاطفيّ في الشعائر الحسينيّة سواء في المنظور الإيمانيّ أم في آثارها على الصلاح والإصـلاح، فمن إيـمان المـرء أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام أحـبّ إليه من نفسه وأهله وأولاده، فيوجعه ما نزل بهم، ويحزن لحزنهم، كما لو نزل ذلك بنفسه وذويه، ثمّ ان البعد العاطفيّ يرسّخ المبادئ الراشدة والفاضلة في القلوب ويثبتها في النفوس ويوجب الاقتداء والتأسّي بالقادة.

وقـد لاحظنا عن قريب كيف استجاب

الناس لقتال القوى المتطرّفة وهم يستذكرون بسالة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وكيف دفع الآباء والأمّهات فلذّات أكبادهم للقتال تأسّياً بزينب عليها السلام وسائر نساء أهل البيت والأصحاب، وهم يصبرون على ما أصابهم ويتسلّون بصبرهنّ (صلوات الله عليهنّ)...

[كما] أوصى الأئمّة عليهم السلام بعد فاجعة الطفّ بإحياء هذه الفاجعة واستذكارها، والتي كانت ملحمةً إلهيّةً فريدةً وخالدة، حيث إنّها تمثّل:

(١) ما بلغته هذه الأمّة -بعد إبعاد العترة المصطفاة عن موقعهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله- من سوء معاملة العترة عليهم السلام، في مشهد رهيب لا يستطيع المرء وصفه، ولا الواصف له بلوغ حدّه.

(٢) مستوى التضحية التي بذلها سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) وأهل بيته وأصحابه في سبيل إحياء الدين ومعارضة الظلم وإماتة البدع، حتّى أصبح موقفهم المثل الأعلى لجميع القيم الإلهيّة والإنسانيّة النبيلة.

فلا عجب بأن تحرِّكَ هذه الملحمة الالهية العقول، وتهزّ الضمائر، وتوقظ القلوب، وتحيي النفوس، وتثير العواطف، وتصير مجالس ذكر هذه الفاجعة -فضلاً عن كونها بنفسها جزءاً من خيرة الأعمال الفاضلة المندوبة- محلّاً لتبليغ الدين، حتّى امتزج تبليغ الدين بذكر الحسين عليه السلام، وأصبحت المجالس الحسينيّة منبراً لإحياء تعاليم الدين وتهذيب النفوس وتطهيرها، ونشر الرشد والحكمة والإيمان والولاء والفضائل كلّها.

[مقتبس من محاضرة للمبلغين].

مواجهة الظالم

السيد زهير الاعرجي

لا شك في ان مواجهة الحاكم الظالم بعد معركة خاسرة عسكرياً أمرٌ صعب بل مرعب خصوصاً إذا كانت السبايا من النساء والصبيان والمرضى.

إلاّ ان موقفي السيدة زينب (عليها السلام) والإمام زين العابدين (عليه السلام) أمام يزيد الطاغية قد قلبا كل المقاييس.

فقد توقع بنو أمية إذلال السبايا واهانتهم والتشفي بهم في وقت غابت عنهم فصاحة أهل البيت (عليهم السلام) وحجتهم البالغة القوية . وعلى أية حال فقد خابت آمال بني أمية عندما انطلقت زينب السيدة (عليها السلام) في خطبتها الفصيحة البليغة تعدد مثالبهم وتكشف انحرافهم عن الاسلام وعن تعاليم القرآن المجيد والسنة النبوية الشريفة . بينما أرجع الإمام زين العابدين (عليه السلام) مصيبة كربلاء إلى ظلم بني أمية وإرادتهم ذلك الظلم المكتوب في الكتاب قبل ان يبرأ الله عز وجل الخلق.

وبتعبير آخر أراد الإمام السجاد عليه السلام تذكير الناس بأن المصائب ومنها مصيبة كربلاء مكتوبة في اللوح المحفوظ ذلك الكتاب الذي فيه ما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة، فالله عزّ وجلّ يعلم ما في اللوح من آجال قبل ان يخلق الخلق وهذا المعنى مستخلص من قوله تعالى في سورة الحديد: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾** [الحديد: ٢٢]، فواقعة الطف لم تكن مفاجئة لهم عليهم السلام بل ان الأحاديث المتواترة تشير إلى انهم كانوا يتنبؤون بها قبل وقوعها في مناسبات معروفة عديدة.

لما أدخل ثقل[١] الحسين عليه السلام ونساؤه برفقة السجاد عليه السلام على الطاغية يزيد وقد أوثقوهم بالحبال ابتدأ الإمام عليه السلام خطابه ليزيد: «**ما ظنك بجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لو يرانا على مثل هذه الحالة؟**».

فأمر يزيد بحلّ الوثاق وقال: قبّح الله ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا، ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين ابن فاطمة عليها السلام أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: **أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً.**

(١) ثقل الرجل: عياله

فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحباً من المجلس وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ناهزت الخمسين من العمر والإمام زين العابدين عليه السلام جالس مع السبايا فقالت: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه كذلك يقول: **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾** [الروم: ١٠]، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسرى إن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف ويستبطأ في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة باراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت إنك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله (صلى الله عليه واله) بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وحسبك بالله حاكماً وبمحمد ﷺ خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك. لكن العيون عبرى والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المعول.

فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن

يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد بن معاوية:

يا صيحة تحمد من صوائح
ما أهون الموت على النوائح

ثم قال يزيد: إيه يا علي بن الحسين، أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت.

فقال السجاد عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

قال يزيد: بل قل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾ [الشورى: ٣٠]، فردّ الإمام عليه السلام: **هذا في حق من ظَلم لا في حق من ظُلم.**

ثم قال عليه السلام: **يا ابن معاوية وهند وصخر لم تنزل النبوة والإمرة إلا لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوك وجدك في أيديهما راية الكفار.**

ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت بأبي وأهل بيته لهربت في الجبال وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور فابشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب.

وفي رواية المسعودي ان يزيد سأل زين العابدين عليه السلام: كيف رأيت يا علي بن الحسين؟ قال عليه السلام: **رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل ان يخلق السموات والأرض.**

فشاور يزيد جلساءه في أمره فأشاروا بقتله، فابتدر زين العابدين عليه السلام الكلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه حيث شاورهم في موسى وهارون فانهم قالوا له: ارجه وأخاه وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا... ان أولئك كانوا الراشدة وهؤلاء لغير رشدك [ماضون] ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلا أولاد الأدعياء**، فأمسك يزيد مطرقاً[1].

[الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام]

(١) إثبات الوصية لعلي بن الحسين، المسعودي، ص ١٤٠

عاشوراء مِرآة للتاريخ

المؤلف: الشيخ محمد مهدي الآصفي

(عاشوراء) مرآة صافية للتاريخ تعكس التاريخ بصورة صادقة وأمينة. ومن خلال قراءة هذا اليوم يستطيع أن يقرأ الناس حركة التاريخ كلّها منذ خلقَ الله تعالى الإنسانَ على وجه الأرض إلى اليوم.

ذلك أنّ التاريخ هو مجموعة (السُّنَن الإلهيّة) في حركة الإنسان وصعوده وسقوطه ولا يجري في التاريخ شيء بصورة اعتباطيّة وعَفَويّة وإنّما يجري كلّ شيء بمُوجب سُنَن وقوانين دقيقة وبالغة في الدقَّة كما يجري التغيير في الفيزياء والكيمياء والميكانيك ؛ تَبَعاً لمجموعةٍ من القوانين والسُّنن الخاصّة بهذه الحقول.

والّذي يفهم هذا القوانين والسُّنَن بشكلٍ دقيق يفهم التاريخ وحركته وما يجري في هذه الحركة من هبوط وصعود ومن هَلاك واستبدال للأُمم.

والـصراع بين الحـقّ والباطل وبـين جند الله وجند الشيطان هو المرآة الّتي تعكس هذه السُّنَن والقوانين بصورة دقيقة وكاشِفة، ذلك أنّ (الصراع بين الحقّ والباطل وحزب الله وحزب الشيطان) هو العامل الأكبر تأثيراً في حركة التاريخ بخِلاف النظريّة الماركسيّة الّتي تعتبر (الصراع الطَّبَقِي) هو العامل المُحرِّك للتاريخ.

فالتاريخ يتلخّص في مُعظَم جوانبه في هذا الـصراع التاريخي الّـذي يقود طَرَفاً منه الأنبياء والمرسَـلـون والمؤمـنـون ويـقـود الـطـرفَ الآخـر الطاغوت وأولياؤه.

وفي هذا الصراع التاريخي تبرز أهمّ خصائص حركة التاريخ وتتكشَّف للإنسان جوانب واسعة من التاريخ لا يكاد يراها إلّا في هذا الجوِّ من الصراع بين أولياء الله وأولياء الشيطان، ذلك أنّ الصراع يستخرج بصورة قويّة خصائص كلّ أُمّة وكلّ فِئة من الناس ويُبرِزها على حقيقتها ويفرز الناس إلى فئتين مُتمايزتين.

فقد تنزع الأُمّة المؤمنة في حالات اليُسر والرَّفاه إلى الدِّعَة والتَّرَفِ وإيثار العافية في حياتها وتنسى ذكر الله (عزّ وجلّ). فإذا حلّ بها الابتلاء نزعتْ إلى الله نزوعاً قويّاً وقطعتْ ما بينها وبين هذه الدُّنيا من أسباب وذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٤].

والعكس أيضاً صحيح فقد يتمكّن المنافقون والمُتخلّفون وأولياء الشيطان من إخفاء حقيقتهم وما تستبطن نفوسهم من حُبّ الدُّنيا والانقياد للأهواء والـولاء للطاغوت والخـوف والضعف في ساعات اليُسر والأمن فإذا جَدّ الجِدّ ووقعتِ المواجهة والـصِّـدام طفحَ على حياتهم ما كانوا يستبطنونه من خوفٍ ونفاق.

يقول تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلا۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا**﴾ [الأحزاب: ١٨، ١٩].

فيَكشف الـصراعُ الخصائص الحقيقيّة لكلّ أُمّة من الناس ويفرز الناس إلى محورين مُتمايِّزين ويعكس التناقضات القائمة في حياة الناس ويعكس السُّنَن الإلهيّة الّتي تجري في حياة الناس وحركتهم وصعودهم وهبوطهم وسقوطهم واستبدالهم بأُممٍ أُخرى ؛ فإنّ هذه السُّنَن جميعاً أو في مُعظمها تجري في جوِّ الصراع بين الحقِّ والباطل بقوّة ووضوح أكثر من أيّة حالة أُخرى...

و (عـاشـوراء) نـمـوذج نـادر مـن الـصراع الحضاري الّذي تتجسّد فيها سُنَن التاريخ بشكل قوي ومُركّز وعَيِّنَة مُمثِّلة لمَساحة التاريخ بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى ومِرآة صافية لحركة التاريخ

يجد فيها الإنسان الصراع القديم بين جُند الله وجند الشيطان وأسباب ومُوجِبات هذا الصراع وقِيَم كلّ من طَرَفَي المواجهة وأساليبهم في هذا الصراع وحَتْميَّة هذا الصراع ومُعاناة طَرَفَي الصراع في هذه المعركة التاريخيّة وما يستتبع هذا الصراع من سقوط وثبات وولادة وهلاك واستبدال واستِدراج وتساقط العناصر الضعيفة وصعود وتسامي العناصر القويّة المؤمنة ونَصْر الله للفئة القليلة المؤمنة وهلاك جُند الشيطان...

كلّ ذلك ينعكس في مرآة عاشوراء في هذه الساعات القليلة الحافِلة بالأحداث الكبيرة من يوم عاشوراء والجمهور من المؤمنين يقرؤون كلّ ذلك وغير ذلك من قوانين وسُنَن التاريخ والمجتمع والصراع في مرآة عاشوراء..

وكلّ هذا الصراع وما استتبعه من معاناة وآلام ونصر وتأييد وثبات وصبر قد ساهم بصورة مَرئيّة أو غير مَرئيّة في ثباته وتكوين شخصيَّته وعاشوراء امتداد لكلّ هذا الصراع وتكريس لهذه المعركة التاريخيّة ومرآة لهذا التاريخ الحافِل بالصراع والمعاناة.

والمؤمنون يرَون أنفسهم في مرآة عاشوراء رؤية صافية صادقة وواضحة ؛ ولذلك يجذبهم عاشوراء ويشعرون بأنّهم مَدينون لعاشوراء وأنّ عاشوراء تُمثّلهم وتُساهم مساهمة فعّالة في تكوينهم وتُشكّل المرآة الصافية الّتي تعكس وجودهم وكيانهم.

وهذا هو ما نعنيه عندما نقول: إنّ عاشوراء نافذة على التاريخ يستطيع الجمهور بوعيه الفِطري البسيط أن يطلّ على التاريخ من خلال هذه الساعات القليلة من يوم عاشوراء.

أرأيت كيف تُمثّل صفحة الخارطة الجغرافيّة وتعكِس إقليماً واسعاً من مساحة الأرض ؟!

كذلك عاشوراء تُمثِّل مساحة واسعة من التاريخ.

ونحن لكي نستوعب عَيِّنَة ما استيعاباً كاملاً بصورة علميّة نقوم عادةً بواحد من اثنين حسب اختلاف العيّنة.

أمّا أن نُكبِّر العَيّنة تحت المجهر حتّى يُمكن اكتشاف وفهم الجزئيّات الدقيقة منها الّتي لا تخضع للعين المُجرَّدة أو نصغِّر المساحة مع الاحتفاظ بكلّ مُقوّماتها وأركانها ونختزلها حتّى يُمكن استيعاب المساحة الواسعة بنظرة واحدة وفي دائرة صغيرة.

و(عاشوراء) من النوع الثاني (اختزال شديد لحركة التاريخ وما في هذه الحركة من السُّنَن والقوانين) وهذا الاختزال يتّصف بالتمثيل الدقيق لمساحة التاريخ الكبيرة وسُنَنها وقوانينها.

ذلك أنّ (عاشوراء) من بين نماذج الصراع بين أولياء الله وأولياء الطاغوت نموذج نادر من الصراع الحقيقي الحاسم في التاريخ.

ففي هذه المعركة التاريخيّة الحاسمة يتقرَّر مصير الإسلام وبالتالي مصير رسالات الله تعالى الّذي كاد أن يسقط في أيدي السلاطين الرسميِّين الّذين كانوا يحكمون باسم الإسلام.

وهذه المعركة وحدها استطاعتْ أن تضع حدّاً للسلطة الزمنيّة الحاكمة وتفصل بين (الإسلام) وما كان في قصور الخلفاء وأجهزتهم من لَهوٍ وسقوط في لذّات الحياة الدنيا ومن ظلم واضطهاد واعتداء وتجاوز لحدود الله تعالى وأحكامه.

في (عاشوراء) يتقابل صفوة مؤمنة خالصة وعلى رأسهم ابن بنت رسول الله ﷺ والصفوة الصافية من أهل بيته وأصحابه مع رؤوس الإجرام والنفاق.

وفي هذا التقابل والمواجهة لا أدري ماذا يحسّ الإنسان من بَوْنٍ شاسِع وفاصل كبير بين نَمطين من الناس وبين هذا السقوط إلى الحضيض والصعود إلى القمَّة بين النور والظُّلمة.

يشعر الإنسان بوجود نَمطين مختلفين تماماً من الناس وبالفاصل الكبير الشاسع الّذي يفصل في الأهداف والقِيَم والأخلاق والتربية والقُرب والبُعد من الله ثمّ يجد هذين النَّمطين من الإنسان في مواجهة حقيقيّة حاسِمة في ساحة الطفّ.

يدعو أحدهما إلى الله تعالى وإلى إقامة الصلاة وإلى العودة إلى الإسلام وإلى الأخذ بأسباب العبوديّة.

ويدعو الآخر إلى الطاغوت والانقياد له.

يطلب أحدهما وجه الله ومرضاته في هذه الحركة والصراع ويقول:

إنْ كانَ دِينُ مُحمّد لم يَسْتَقِمْ
إلّا بقَتْلِي يا سيوفُ خُذيني

ويقول:

والله إنْ قَطَعْتُم يَمِيْني
إنّي أُحامي أبداً عن دِيني

ويطلب الآخر سَقْط المتاع في الحياة الدنيا ويقول:

املأ رِكابي فِضّة أو ذهباً
إنّي قتلتُ السيّد المُحجبا

يُجسِّد أحدهما في سلوكه وقتاله أسمى القِيَم وأنبلها حتّى في القتال ويُجسِّد الطرف الآخر أحطّ ألوان السلوك في ابتغاء الدنيا وفي الإجرام.

إنّ التقابل العجيب بين هاتين الفئتين اللّتين تُقاتِلان في كربلاء وبين أهدافهما يعتبر واحداً من أغرب نماذج الصراع بين الحقّ والباطل في التاريخ.

لقد كان أحد الطرفين حقّاً امتداداً لإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ويحمل معه ميراث هؤلاء الصدّيقين وهمومهم وطموحاتهم ويُعدّ الآخَر حقّاً امتداداً لقابيل وفرعون ونمرود والقتَلة والمُجرمين في التاريخ.

لقد كان أحد الخطّين يستجمع كلّ قِيم وعطاء وتضحيات الأنبياء والخطّ الآخر يستجمع كلّ ألوان الانحطاط والسقوط الّذي يشهده الناس في التاريخ لهذا الخطّ.

[في رحاب عاشوراء]

هيهات منا الذلة

نهضة الحسين عليه السلام كانت طاعة لله تعالى وأداءً للتكليف

آية الله العظمى الصافي الكلبايكاني

إن ما يحرّك الإنسان للعمل والثورة يكمن أحياناً في أُمور مادية ومنافع دنيوية وأغراض شخصية وبعبارة أُخرى في حبّ الذات والأنانية والغرور النفسي ويستند أحياناً إلى دوافع حبّ الخير والفضيلة والشعور بالمسؤولية والواجب.

ومن الواضح أن الشخص الذي يعمل بدافع مادي وشخصي ليس جديراً بالتقدير وسيكون مستوى عمله متدنّياً ولا يختلف عن عمل الحيوانات فكما أن الحيوانات همُّها علفها فإن الكثير من الناس لا يَفْضُلون عليها في همومهم ومقاصدهم.

نعم إذا كان هؤلاء الناس يسعون إلى تأمين حاجاتهم المادية عن طريق مشروع بعيداً عن الاعتداء والخيانة والتجاوز على حقوق الآخرين ولا تعميهم وتصمّهم شدة الطلب عن مراعاة الآداب الأخلاقية والشرعية فإن هؤلاء غير ملومين على ذلك ويمكن القول انهم وضعوا أقدامهم في الصف الأوّل للإنسانية وربما يثابون ويؤجرون ويكونون مصداقاً للآية الشريفة ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

وإذا ما أشبعوا غرائزهم بأساليب غير مشروعة فقد استوجبوا التوبيخ والعقاب وسيؤول أمرهم إلى أن يصبحوا طغاة وجناة ولصوصاً ولاعبي قمار ومرابين وقتلة و...

وانطلاقاً من ذلك فإن أكثر الأفراد الصالحين والطيبين في المجتمع هم من الذين يحصلون على منافعهم المادية ويصلون إلى أهدافهم الشخصية عن طريق مشروع وأغلب الذين انحرفوا عن السبيل القويم هم من الذين لا يتورّعون- في مجال إشباع الغرائز- عن خوض كل عمل وركوب كل وسيلة فالحلال والحرام في قاموسهم مترادفان ولا حدّ لطمعهم وكثرة طلبهم.

وإذا كان دافع الإنسان للعمل هو حبّ الخير والإحسان وأداء التكليف ولا تشوبه أغراض شخصية فإن هذا العمل سيكون شريفاً مثمراً صادراً عن روح إنسانية خالصة وسيحظى صاحبه بالتقدير والإعجاب.

ومثلما يُدرَك حسنُ الخير والفضيلة والعدالة ذاتياً فإن صاحب هكذا عمل هو أيضاً محبوب وشريف ذاتياً.

وهناك صنف من الناس الدافع المؤثر في وجودهم هو أسمى من هذه العوامل وأفضل من جميع هذه المقاصد.

أولئك هم عباد الله الحقيقيون وأولياؤه الخاصون الذين ليس لديهم هدف وغاية من عملهم سوى العبودية والطاعة لله.

إن عمل هؤلاء المقرّبين لا يمكن أن يُسند إلى أية علة أو سبب ما عدا الطاعة لله وامتثال أمره والانقياد إلى حُكمه، فهم لا يسألون عن مصلحة وفلسفة وجدوى المأمور به ولا عن مفسدة المنهيّ عنه؛ لأن الحديث في مثل هذه الموضوعات يعتبر- في مقام الطاعة والامتثال- تجاوزاً للحدود وفضولًا من الكلام وجرأة على مقام المولى فالمؤثر في وجودهم والمدبّر لأمورهم هو الله تعالى والشيء الذي يحدوهم إلى العمل والتحرّك هو أمر الله تعالى.

هذا الصنف تصدق في حقهم الآية الكريمة ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٦/ ٢٧].

وكلّما تصبح مرتبة التوحيد أزكى وأسمى كان خلوص النيّة والتسليم لأمر الله أكمل وتصير كل المطالب والمقاصد إلى جنب المطلوب الحقيقي

والمقصود بالذات ومنتهى الآمال تصير كلها فانية متلاشية صافية خالية من الغش.

إن الإيمان الصادق والتوحيد الخالص من كل شائبة يجعلهم متوجهين نحو الله تعالى لا غير مثلما توجّه الحسين عليه السلام في دعاء عرفة إليه: «**وَانْتَ الَّذي ازَلْتَ الْاغْيارَ عَنْ قُلُوبِ احِبّائِكَ حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِواكَ وَلَمْ يَلْجَوؤا الى غَيْرِكَ**».

إذن علّة حركته وإقدامه ونهضته ليست سوى إطاعة أمر الله ومحبته ورضاه وليس شيئاً آخر.. دعاؤه: «**اللهم ارزقني حُبَّك وحَبَّ من يحبُّك وحُبَّ كلّ عمل يوصلني إلى قُربك وشعاره وذكره: لا إله إلّا الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله وأُفوِّض أمري إلى الله وحسبُنا الله ونِعْمَ الوكيل والله أكبر**».

إنّه أرفع من أن يطمع بالحور والقصور والأجر والثواب والجنان الموعودة أو الخوف من جهنم والعذاب والعقاب في يوم النشور.

إن مطالعة تاريخ حياة الأنبياء والمرسلين وقادة الدين والأئمة الطاهرين الذين هم رواد التوحيد الخالص وطليعة قافلة العبّاد، هي مطالعة لأعلى دروس التوحيد. يقول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الصافات: ٩٩] ويقول: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٧٩].

ويقول خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: ﴿**إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وكان أهل بيته: علي وأبناؤه عليهم السلام المثَل الأعلى- بعد النبي صلى الله عليه وآله- للتوجّه الخالص للمبدأ والتوحيد.

فعليٌ هو ذلك الشخص الذي روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في وصف إيمانه: «**إذا وضعت السماء والأرض في إحدى كفتي الميزان ووضع إيمان علي في الكفة الأُخرى لرجح إيمان علي**».

إن العبودية للحق وطلب العدالة والحرية والزهد والتقوى والشجاعة والصراحة وكل الصفات الإنسانية التي تجلّت في علي وأبنائه إنما هي ثمرة شجرة التوحيد وعبودية الله والتسليم والتوجّه الخالص للمبدأ. وكانوا إذا ما عُرض عليهم عملان اختاروا أيّهما أكثر رضاً لله تعالى.

ولا شك في أن أجلّ مظهر للإخلاص والطهارة والعبودية للحق في هذه الأسرة هو ثورة الحسين عليه السلام ضد يزيد وحكم بني أُمية والتي تعتبر ثورة إلهية ونهضة دينية.

فالحسين عليه السلام في ثورته هذه لم يكن يطلب الحُكمَ والمقام الشكلي والدنيوي ولم يهدف إلى بسط نفوذه وحيازة المال والثروة، وإنما امتنع عن بيعة يزيد طاعة لله وهاجر من الحرمين الشريفين امتثالاً لأمر الله وجاهد من أجل الإصلاح والتغيير طاعة لله.. فالدافع لهذه الثورة إذن ليس إلّا إطاعة أمر الله وأداء التكليف.

أوراق اجتماعية

طريق التقدم

محمد تقي فلسفي

يبذل الطفل نشاطاً بصورة طبيعية في طريق الوصول إلى الكمال المنشود، ويستغل طاقته الطفولية في هذا السبيل. إن تشجيع الوالدين والأصدقاء يفسح المجال أمامه للتقدم اكثر، ويمد سراج الأمل والتضامن في نفسه بالوقود باستمرار... وفي النتيجة تتفتح مواهبه واحدة بعد الأخرى وعلى العكس من ذلك فإن إهمال الوالدين أو تزمتهما يضعف النشاط الفردي عند الطفل ويبعث فيه الفتور والملل في سلوك طريق الجد والعمل. إن تكرار هذا السلوك المذموم يهدم روح الطفل ويتضمن نتائج وخيمة. ولأجل أن يتضح الأمر بصورة أجلى نستشهد بالمثال التالي:

صبي صغير السن لم يمض على دخوله المدرسة أكثر من عدة أشهر وقد تعلم بعض الدروس من كتاب الصف الأول، والآن قد كتب صفحة كاملة لأول مرة، وأظهر نتائج جهوده على صفحة من القرطاس. إن هذه الكتابة تعتبر الانتصار العلمي العظيم لهذا الصبي... فهي خلاصة الأتعاب التي بذلت معه طيلة عدة أشهر، وهي بعدُ مرآة تعكس شخصيته. يثبت عينيه نحو باب الدار ويعدّ الدقيقة بعد الأخرى لقدوم والده وعرض هذا الأثر اللامع عليه، إنه يأمل في التشجيع والاستحسان من أبيه،

وهـذه الساعة هي أسعد ساعات حياته، يدخل الأب الى البيت، فيركض الصبي لكي يريه ما كتبه ثم يظل ينظر إلى أبيه بعينين نافذتين.

إن الأب العاقل، الأب الواعي يقرأ كتابة الصبي بإمعان، فيبتسم... ثم يحمله بين ذراعيه، ويعامله باللطف والمحبة ويكرر الاستحسان والثناء عليه وبهـذا يكافئه بأحسن صورة. إن سلوك الأب يمنح الصبي روحا طرية، فيزداد نشاطه وجدّه، ويستمر في التقدم العلمي بكل شوق ورغبة.

أما الأب الجاهل، الأب المهمل فإنه يفاجئ الصبي بعكس ما كان يتوقع، لا يقرأ كتابته، وإذا قرأها فلا يستحسن ولا يثني عليه. وأشدّ من ذلك أن بعض الآباء يجبرون الاخفاق والفشل الذي يلاقونه خارج المنزل بالشدة والخشونة مع الزوجة والأطفال فيرزمون بالصبي الـذي كله أمل ورجاء، وبهذا يقتلون روح التقدم فيه، ويحطمون شخصيته، ويطفئون سراج أمله واطمئنانه.

يبتعد الطفل عن أبيه بروح منكسرة، وقلب متحطم، وينام ليلته مع خاطرة مرة. قد لا يتنبه الأب الى سلوكه الأهـوج أبداً، ولكن الطفل لا ينسى هذا الموقف المؤلم. إن القسم الأكبر من مآسي الأفراد وتعاستهم ينبع من خاطرة مرة، أو نقطة طفيفة... ثم تتسع حتى تعود عليه بالدمار والانهيار.

إن الأطفال الذين لا يلاقون تشجيعاً واستحساناً على أفعالهم الطيبة التي يقومون بها، بل يقابلون بالتحقير والاهانة من قبل الوالدين، تندحر شخصياتهم ويصابون بعقدة الحقارة، ويقعون في شرك المشاكل والمآسي الكثيرة. ومن هذه العوارض الخجل المفرط في مواجهة الناس.

«إن الأشخاص الذين تلمسون الخجل وسرعة الانفعال منهم، تجدونهم مستهترين ومشاكسين، أو يلاحظ عليهم الخمول والهـدوء، أو الثرثرة والفضول، أو البرودة وضعف الإرادة، أو التهور والسطحية هم رجال لا يملكون اطمئناناً بأنفسهم ويفقدون الاعتماد على النفس، أي إنهم يتصورون أن المجتمع لا يعترف بهم كما ينبغي ولا يحلّهم المحل الذي يستحقونه».

إذن يجب على الوالدين، ضمن القيام بواجباتهما التربوية، الانتباه إلى هذه النقطة المهمة، فيستحسنان الأفعال الصالحة التي تـصـدر عـن أطفالهما ويـفـرّحـانـهـم بالمدح والثناء... وهذا هو أحسن الوسائل للوقاية من نشوء الخجل المفرط وضعف النفس فيهم.

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إذا نظر الوالد الى ولده فسرّه، كان للوالد عتق نسمة**»[1]، ومن البديهي أن المدح والثناء عن استحقاق أفضل الوسائل لبعث السرور في نفس الطفل، وهذا يشتمل على أجر أخروي ومكافأة إلهية في نظر الإسلام، بغض النظر عن فوائده التربوية. لقد اهتم الأئمة عليهم السلام بهذا الموضوع كثيراً، وطبقوه في أسلوبهم التربوي الأمثل بالنسبة الى أطفالهم... إذ كانوا يشجعونهم على الأفعال المفيدة التي تصدر عنهم ويرغبونهم في الاستزادة منها.

وفي الواقع فإن بيت علي عليه السلام كان طافحاً بالتوحيد والإيمان، مليئاً بالحب الإلهي والفناء في ذاته، ولذلك فإن الأطفال قد تلقوا تربية سليمة وطفحت قلوبهم كأبيهم بحب الله وتوحيده.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ج٢، ص٦٢٦.

فضل المجتمع الإسلامي

مهدي الصدر

كان المجتمع الإسلامي إبّان رُقيّه وازدهاره، نموذجاً فذّاً ونمَطاً مثاليّاً بين المجتمعات العالميّة المتحضّرة، بخصائصه الرفيعة، ومزاياه الغُرّ التي بوّأته قمَم المفاخر والأمجاد، وأنشأت مِن أفراده أُسرةً إسلاميّةً مرصوصةَ الصفّ، خفّاقةَ اللواء مرهوبةَ الجانب، موصوفةً بالفضائل والمكرمات.

لقد كان فذّاً في عقيدته التي حوَت أسرار التوحيد، وأوضحت خصائص الإلوهيّة وصفاتها الحقّة، وجلّت واقع النبوّة والأنبياء، وفصلت حقائق المعاد، وما يجيش به مِن صوَر النعيم والعذاب.

حوَت كلّ ذلك، وصوّرته تصويراً رائعاً يستهوي العقول والقلوب ويقنع الضمائر حتّى باركها الله واصطفاها بين العقائد والأديان.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وكان فذّاً في شريعته الغرّاء، تلك التي تكاملت بها شرائع السماء وبلَغت قمّة الوحي الإلهي ما جعلها الشريعة الخالدة عبر الحياة، والدستور الأمثل للبشريّة جمعاء.

وكان فذّاً في أخلاقه، فقد ازدهرت في ربوعه القِيم الأخلاقيّة وتكاملت حتّى أصبحَت طابعاً مميّزاً للمسلم الحقّ، كما وصفه الرسول الأعظم ﷺ بقوله: «**المؤمن مَن أمنه الناسُ على أموالهم ودمائهم، والمُسلم من سلِم المسلمون مِن يدِه ولِسانه، والمُهاجر مَن هجَر السيّئات**».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا بني، اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فاحبِب لغَيرِك ما تُحبُّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تَظلِم كما لا تحبّ أنْ تُظلم، وأحسن كما تُحبُّ أنْ يُحسن إليك، واستقبح مِن نفسك ما تستقبح مِن غيرك، وارضَ مِن الناس بما ترضاه لهم مِن نفسك، ولا تقُل ما لا تعلم، وإنْ قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أنْ يُقال لك**».

وكان فريداً في تآخيه: فقد أعلن مبدأ المؤاخاة وحقّقه بين أفراده بأُسلوبٍ لم تستطِع تحقيقه سائر الشرائع والمبادئ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[الحجرات: ١٠٠].

وأصبح المجتمع أُسرةً واحدة تستشعر روح الإخاء، وتتجاوب في عواطفها ومشاعرها، وكان ذلك مِن أعظم منجزات الإسلام وفتوحاته الإصلاحيّة.

وكان مثاليّاً في أريحيّته وتكافله: فالمسلم معنيٌّ بشؤون المجتمع والاهتمام بمصالحه، والعطف على بؤسائه ومعوزيه.

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «**قال رسول الله ﷺ: مَن أصبح لا يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم**».

وعنه عليه السلام أنه قال: «**قال رسول الله ﷺ: الخلق عيالُ الله، وأحبُّ الخلقِ إلى الله مَن نفَع عيالَ الله، وأَدخَل على بيتٍ سروراً**».

[أخلاق أهل البيت]

نظرة الإسلام للمرأة وسموّها العقلي

الشيخ حسن الجواهري

نظر القرآن الكريم إلى المرأة على أنّها مستقلّة في مجال الفكر والمعرفة، فأعطاها استقلالها في المعرفة، ونظر إليها على أنّها صاحبة رأي وحكمة.

وهذا يمكن معرفته من تجربة بلقيس بنت شرحبيل (ملكة اليمن)، التي عرض القرآن لنا تجربتها على أنّها تجربة إنسانية قابلة لأن تكون مورداً للتأسي والاقتداء، وقد نظر القرآن لها بعين الرضا والقبول حيث لم يقابلها بالنقد والتجريح.

فقد كانت حكمة بلقيس قد تجلّت في استشارتها مجلسها الذي شكّلته من عدد أفراد القبائل التي كانت ساكنة باليمن، وفي خضوعها للحقّ من دون مكابرة عندما بيّن لها أن الذي يدعوها للدخول في الدين الجديد هو نبي من أنبياء الله تعالى، فقد قال تعالى على لسان بلقيس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل/ ٣٢]، فهي الملكة والأمر أمرها ولكن لم تتخذ قراراً إلّا بعد التشاور.

وقد كان قرار المجلس يميل إلى الحرب إذ قالوا لها: ﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، ولكنّها كانت تعلم ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ فاختارت أن تعرف نوايا صاحب الرسالة (سليمان) هل هو من الملوك الظلمة، فإنّه سيفرح بهدية تهديها إياه هذه الملكة ويكفّ عنها، وإن لم يكف فهم قادرون على مقابلته، وإن كان هو من الأنبياء فسوف يردّ الهدية، ولا يرضى إلّا بدخولهم في طاعته، والنبي لا طاقة للملكة في مقابلته، ولذا صمّمت على إرسال الهدية له ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل/ ٣٥].

ولكن عندما علمت أنّه لم يقبل الهدية حيث كان الجواب: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل/ ٣٦، ٣٧] وهنا علمت بلقيس أنّ هذا الذي يدعوها للدخول في طاعته وقبول رسالته هو نبيّ من أنبياء الله، وهي وقومها لاطاقة لهم في مقابلة النبيّ، فصمّمت على الارتحال إلى سليمان وقالت: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[النمل/ ٤٤] فاعترفت بالخطأ الذي كانت عليه وأقرّت بالإيمان بكلّ شجاعة.

فالقرآن حينما يسجّل لنا هذه التجربة الإنسانية، يريد أن يوضّح لنا موقفه من المرأة التي كانت حكيمة وعالمة، وحيث لم يقابل هذه التجربة بالنقد والتجريح، نفهم أن القرآن الكريم يُجيز للمرأة أن تكون قائدة لأُمّة إذا كانت عالمة وقادرة على قيادة هذه الأُمة بالتدبّر والتفكّر والحكمة والعلم.

إلى هنا تبيّن لنا أنّ المرأة تتمكّن من أن تواجه الضغط العائلي كما واجهته آسية زوجة فرعون في صمودها على إيمانها وعبادتها، وتتمكّن أن تواجه الضغط الاجتماعي كذلك كما واجهته مريم بنت عمران وآمنت بالله وعبدته رغم انحراف مجتمعها عن الحقّ والعدل، وتتمكّن من أن تكون صاحبة عقل وفكر وحكمة وعلم كما في بلقيس.

فالمرأة إذن يمكن أن تكون مثالاً للالتزام والتديّن بما تعتقد به، ومثالاً للحكمة والعلم والسموّ العقلي، فهي متكاملة وليست ناقصةً متدنيةً عن الرجال كما يريد أن يصوّرها لنا الآخرون.

قد يقال: إنّ ما ذكره القرآن في قصة آسية زوجة فرعون ومريم بنت عمران وبلقيس، لا يمكن أن يكون هو القاعدة وهو الفطرة في صنف النساء، بل هذه النساء استثنيت من النساء نتيجة الاصطفاء الإلهي، فلا يمكن أن يقاس عليها غيرها من النساء.

الجواب: إنّ هذه النساء التي تقدّم الكلام عنها، وكذا بقية النساء اللواتي لهن الأثر في تاريخ مسيرة النبوّة الخاتمة نبوّة نبينا محمّدﷺ كخديجة وفاطمة وغيرهما من النساء البارزات والمميّزات، لم يرد النصّ بالاصطفاء في أيّهم سوى السيّدة مريم (أم عيسى).

واصطفاء السيّدة مريم لم يكن بمعنى تمييزها عن سائر النساء بمواهب وكفاءات تماثل فيها الرجال، وتفوق بها النساء، بل الاصطفاء هنا بمعنى آخر، إذ قالت الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٢].

وقد ذكر المفسّرون أنّ المراد من الاصطفاء

الأوّل في الآية: هو تفريغها للعبادة والخدمة في الهيكل، بعد استثنائها من الحظر المفروض على النساء في هذا الشأن، وذلك استجابة لنذر أُمّها بتحرير حملها للعبادة المحكي في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ [آل عمران/ ٣٥].

والاصطفاء الثاني: هو اختيارها لولادة عيسى عليه السلام الإعجازية.

فالاصطفاء الأوّل: هو استجابة لدعاء وعونٌ على التقوى لإعدادها لموضوع الاصطفاء الثاني، وهو الحمل الإعجازي.

إذن السيّدة مريم لا تتميّز عن سائر النساء في سائر حالاتها وشؤونها الإنسانية، فالمرأة بحسب إنسانيّتها وخلقتها الأصليّة قابلة لتولّي المهام في الحياة العامة كالرجل، فهي كاملة وليست ناقصة ومتدنية عن الرجال في الأعمال العامة إذا سنحت لها الفرصة والتربية والتمرين على ذلك.

نعم، هناك اصطفاء عام للرجال والنساء ذكره القرآن في موارد ثلاثة:

١ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٣٣].

٢ قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل/ ٥٩].

٣ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر/ ٣٢].

وهذه الآية الثالثة تصرّح بأنّ الاصطفاء لا يعني حتميّة التمييز؛ لأنّ في هؤلاء المصطفين من لم يعمل بالكتاب وانحرف عن نهج الله عزّ وجلّ.

إذن سيكون معنى الاصطفاء هو الاختيار للمهمة والمعونة عليها، ولكنّ الأمر في انجاز المهمة متروك لإرادة الإنسان واختياره، فلا يكون الاصطفاء بمعنى التغيير في حالات النساء والشؤون الإنسانية.

ملاحظة: إنّ الهدف من القصص في القرآن هو التعليم بذكر القدوة العملية في مجال الخير، وذكر أمثلة الانحراف والشرّ للتحذير منها. اذن هي أمثلة للعمل والاتباع، وليست لمجرّد المعرفة البشرية أو لتوثيق التاريخ أو للتسلية.

اذن يمكن القول: إنّ القصص القرآني يكشف عن مبادئ ثابتة في الشريعة الإسلامية، يمكن للفقيه أن يأخذها في اعتباره عند البحث عن الحكم الشرعي أو الاستدلال عليه في مقام الاجتهاد والاستنباط.

وعليه ستكون نظرة القرآن للمرأة هي المرجع في فهم النصوص التشريعية وتفسيرها، فلاحظ.

[اوضاع المرأة المسلمة]

أوراق ثقافية

مـــــن أعـــمـــاق الـــتـــاريـــخ

السيد محمد جمال الهاشمي

على ذكرك التأريخ يصحو ويسكرُ ... وفي ظلّك الأجيال تُطوى وتُنشرُ

وباسمك تستوحي السماء عواطفاً ... تحاول أن تسمو إليك فتقصرُ

فما أنت إلّا النور سيرك ظاهرٌ ... وسرُّك في دنيا ظهورك مضمرُ

وما أنت إلّا الروح كنهك غامضٌ ... وفيضك مثل الشمس بل هو أظهرُ

نهضت فهبَّ الحقُّ والخلد خلفَه ... يهلّلُ ذا شكراً وذاك يكبِّرُ

وقال الإبا تحيا العروبة إنها ... سماءٌ بها الأمجاد تزهو وتزهرُ

نهضت بوجه البغي وهو بزهوهِ ... مدلٌّ على الأيام ينهى ويأمرُ

فماهي إلّا جولة وتقهقرتْ ... كتائبُه في خزيها تتعثّرُ

وما الفجر إلّا ثورةٌ فلكيةٌ ... بها الكون من سجن الدجى يتحرَّرُ

ولولا صراعُ البذر والأرض لم يقمْ ... من اليابس المنخوب ريانُ أخضرُ

مضى ابنُ أبي سفيان للقبر واثقاً ... بأن الذي أبقاه هيهات يُقبرُ

فهذي بلادُ المسلمين بعهده ... تشيد وفي آثاره الغر تفخرُ

وهذا يزيد والنفوس تخافه ... وترجوه فهو البحر يرجى ويحذرُ

وتبلغ أحلام القرون أُميَّة ... ويعرف منها الدهر ما كان ينكرُ

ولم يخش بأس الهاشميِّين بعدما ... قضى الصلح فيهم أن يسادوا ويقهروا
نعم ربما طافت عليه وساوسٌ ... فتذعره باليأس واليأس يذعرُ
ففي يثرب (لو ساعد الدهر) عصبة ... ترى أنها بالأمر أولى وأجدرُ
لها في نفوسِ المسلمين جلالةٌ ... تهاب وشأنٌ في البلاد مقدّرُ
ويا ربما يقوى على كيد بعضها ... فيدحره والكيد بالكيد يُدحرُ
فيزعم أنّ (ابن الزبير) مراوغٌ ... بفطرته حتّى على الدين يمكرُ
وخطوة عبد الله وهي قصيرةٌ ... يخاف عليها بالمزالق تعثرُ
ولكن بماذا يسترُ الشمس إن بدت ... وما كان ضوءُ الشمس بالكيد يُسترُ
فهذا حسينٌ والعناصر باسمه ... إذا ما جرى ذكرُ الخلافة تجهرُ
يؤهّله للعرش مجدٌ مؤثل ... يؤسّسه طه ويعليه حيدرُ
وفضل إليه الفجر ينهب نوره ... ودين به الإيمان يزكو ويطهرُ
وروح هي الآماد حدّاً وإنّها ... لأعظم منها في الجلال وأكبرُ
أيمكن أن يدنو يزيد لمجده ... وتاريخه من بؤرة العهر أقذرُ
وهب أنه بالجبر حاول بيعةً ... من الناس كيف ابن البتولة يُجبرُ
وحيّره الأمر الرهيب وطالما ... بموقفه أندادُه قد تحيَّروا
وغامر في فرض النظام ولم يكن ... إذا ما وعى صوت الحجى يتهوّرُ
وقام يزيد ساخراً بسلوكه ... على كلِّ ما سن الشيوخ وقرّروا
تنمّر حتّى حطّم القيد داعياً ... لحرِّية فيها الهوى يتنمَّرُ
وأطلق دنياه من الدين ساخراً ... بقوم بهم أُسطورة الدين تسخرُ

فما شأن بيت الله وهو بنيَّة ... مقاصره منها ألذ وأنضرُ
وهل كان غير الجهل قائد أُمَّة ... إلى (حجة) راحت تخبُّ وتنفرُ
سينسفه لو ساعد الدهر عابثاً ... بأحلام قوم حوله قد تجمهروا
ويهتك أستار العقائد إنها ... ضلال بأبراد الهدى تتسترُ
وراح يناجي الكأس بالسرِّ قائلاً ... لمثلك مَن بالسرِّ جاهر يعذرُ
وودَّعه مذ صاح داعي السما به ... إلى الله يا مغرور فالله أكبرُ
وعاد إليه ناقماً من شريعةٍ ... بها الصوم معروف بها الخمر منكرُ
فهاجمها بالشعر والشعر لوحة ... عليها تعابير النفوس تُصوَّرُ
صحا ساعة من سكره فاسترابه ... مقامٌ على دنياه أمسى يسيطرُ
وأضحكه أن يغتدي قائدُ الورى ... إلى الدين عقل بالشرائع يكفرُ
ولكنَّه شيء جرى فليقم به ... كما يقتضي ناموسه ويقدَّرُ
سيصبر حتّى ساعة النصر والفتى ... إذا رام نصراً في الجهاد سيصبرُ
فطالع أسرار البلاد فلم يجد ... سوى نفر من حكمه قد تأخَّروا
وما كان لولا السبط يهتمُّ فيهمُ ... لأنّ مقاييس الهوى تتطوَّرُ
ولكنه روح تسامى وجوهرٌ ... تجرَّد بالأعراض لا يتغيَّرُ
لذاك قضى تفكيرُه أن يزيله ... وإنْ عابه قومٌ وعاداه معشرُ
فقرر أن يغتاله بعصابةٍ ... ضمائرُها بالمال تُشرى وتؤجرُ
إلى البيت سار ابنُ البتولة ناقماً ... على حالةٍ منها الشريعة تضجرُ
وما كان يبغي الحجَّ في عامه الذي ... يغصُّ بآلاف الحجيج ويزخرُ

ولكنَّها الـروح الـتي ثـار حقدها ... على الـوضع فاهتاجت بـه تـتذمرُ
فـهاجر قـبـل الـحج عنها بليلةٍ ... بها الـنجم غـافٍ والكوارث تـسهرُ
وساءله عـن سيره البعض فانثنى ... يـجيب بـأنّ السير أمـر مـقدَّرُ
وفـي قـوله سـرٌّ يضيق بشرحه ... بياني ويعيا الشعر لو كان يشعرُ
وكــان احتجاجٌ صـامت وتـأهّبٌ ... لـثورة فـكـر بـاللظى يـتفجرُ
وفـي كـربلا حـيث الـبلاء مخيمٌ ... بـأجـوائه راح الـحسين يعسكرُ
وكـــان قـتـالاً لاتــزال دمـــاؤه ... تسيل دموعاً فـي القرون وتمطرُ
فقل للَّذي يعزي إلـى ابـن سميةٍ ... مصارع أبطال مـدى الدهر تذكرُ
أعـد نـظراً فـي الـحادثات فإنها ... رمـوز بـهـا الأسرار تـخفى وتظهرُ
أكـان ابـن ميسون بريئاً وباسمه ... يـهمهم شـمـر سيفه ويـزمـجرُ
أيـقـوى عـبـيد الله نـغـلُ سـميةٍ ... على الفتك بابن الطاهرات ويجسرُ
وتعلى على الأرمـاح أرؤسُ فتيةٍ ... يـشـعُّ بـهـا الـلـيل البهيم ويقمرُ
وتُسبى بناتُ الوحي وهي حواسرٌ ... تُـسـبُّ بـأفـواه الـلـئام وتـزجـرُ
ويـؤسـر زيـــنُ الـعـابدين مـقيَّداً ... ومثلُ ابن سبط المصطفى كيف يؤسرُ
ويـهدى سبايا الـطفِّ للشام ذلـةً ... عـلـى عُـجُـفٍ إن قُـدّمـت تـتأخَّرُ
ويحضرها في مجلس الـخمر هاتفاً ... يزيدُ على نـخب انتصاريَ أسكرُ
فـيضرب ثـغرَ ابـن البتول وثغرُه ... يـدمـدمُ بالكفر الـصريح ويـهذرُ
نـوائب يعيا الـعدُّ عن حصرها وهل ... تـحدُّ رمـال البيد عـدّاً وتـحصرُ

اقلعي عن فعلك، وانزعي عن جهلك، واغتنمي صحتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، وانظري إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا، ثم ذهبوا وخلوا، وانظري إلى حمقهم كيف يجمعون ما لا يأكلون، ويبنون ما لا يسكنون، ويأملون ما لا يدركون؟! فهل في الدنيا أحمق ممن يعمر دنياه وهو مرتحل عنها يقينا، ويخرب آخرته وهو صائر إليها قطعا رهينا؟!

شعر:

إذا كان أدنى العيش ليس بحاصل لذي اللب في الدنيا بغير المتاعب

فكيف بأسنى العيش في عالم البقا لذي الجهل في تفريطه في المطالب

أف للدنيا الدنية، خبثت فعلا ونية، ولعيش حشوه هم وعقابه منية.

واعلمي: أن الدنيا ليست تعطيك لتسرك، إنما تعطيك لتضرك.

يا نفس:

إن الدنيا أقل عند الله من جناح بعوضة واحقر، فمن عظم هذا الجناح كان منه أصغر، فكم تشعبيها وتنصدع، وترقعي خرقها فيتسع، وتجمعي منها ما لا يجتمع.

تأمل بعينيك كيف الذهاب فإن لكل حياة مماتا

فمن عاش شب ومن شب شاب ومن شاب شاخ ومن شاخ ماتا